الخطاب القرآني في آيات السكينة

دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي

إعداد الدكتورة

نجلاء عبدالله عبدالعليم حسن

مدرس بقسم أصول اللغة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية- بنات القاهرة

جامعة الأزهر

الخطاب القرآني في آيات السكينة
دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي

نجلاء عبد الله عبد العليم حسن.
قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية – بنات القاهرة–
جامعة الأزهر جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: najlaaHasan1774.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يمر الإنسان في حياته بالعديد من الضغوطات والمشاكل والتي من شأنها أن تسبب له الإحساس بالضيق والمشاعر المضطربة؛ مما يجعله يبحث عن الطمأنينة والسكينة، والمؤمن بحسب طبعه لا ملجأ له سوى اللجوء إلى ربه وتلاوة آياته، وقد ورد في القرآن الكريم عدة آيات يشعر الإنسان من خلالها بالطمأنينة والسكينة.

ولذا كان الهدف من البحث توضيح دور اللغة في إبراز الأثر النفسي لآيات السكينة على نفس المتلقي في إدخال الهدوء والطمأنينة على قلبه المضطرب من خلال الدراسة والتحليل الصوتي، والصرفي، والتركيبي.

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي بأداتيه (الإحصاء – التحليل) حيث قمت بإحصاء آيات السكينة ثم تحليلها على مستوى الدراسة اللغوية مع إبراز الجانب النفسي لكل مستوى .

وقد خلص هذا البحث إلى عدة نتائج أهمها:

١– إن الوحدات الصوتية المستعملة في آيات السكينة ساعدت بما لها من إيحاءات على إبراز الأثر النفسي لهذه الآيات على نفس المتلقي.

٢- استخدام صيغة فاعول في لفظ (التابوت) وهي صيغة نادرة يتناسب مع ما كان يمثله التابوت لبني إسرائيل بما يحمله من آثارهم.

٣- استعمال أسلوب النهي في معنى الإيناس يعزز الأمان والاطمئنان في نفس المتلقي.

٤- تنوع التراكيب في الخطاب القرآني بين الخبر والإنشاء يقوي النص، ويزيد من قوة تأثيره على نفسية القارئ.

٥- إن سكينة بني إسرائيل سكينة مادية، أما سكينة الأمة المحمدية فقد أودعها الله –عز وجل – في قلوبهم.

الكلمات المفتاحية: الخطاب القرآني – السكينة– علم اللغة النفسي– الوحدة اللغوية – المقطع.

The Quranic Discourse in the Verses of Serenity: An Analytical Study in the light of Psycholinguistics

Najlaa Abdullah Abdul Aleem Hasan,

Department of Linguistics, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Female Students, Al-Azhar University, Cairo, Egypt

Email: najlaaHasan1774.el@azhar.edu.eg

Abstract:

Several verses in the Holy Quran instill a sense of tranquility and peace in a person. Therefore, the research aims to clarify the role of language in highlighting the psychological impact of these verses of serenity on the soul of the recipient and on bringing calm and reassurance to his troubled heart. This has been achieved through studying and analyzing the phonetic, morphological, grammatical, and lexical characteristics of the verses. In the study, which relies on the descriptive approach with its tools (statistics - analysis), the verses of serenity have been collected and then analyzed at the various linguistic levels, highlighting the psychological aspect of each level. This research has reached several results, the most important of which are: The phonetic units used in the verses of serenity, with their connotations, help highlight the psychological impact of these verses on the soul of the recipient. The use of the word Tabūt (the ark), which is a rare form in Arabic is consistent with what the ark represented to the children of Israel. Using the prohibition method in the meaning of company enhances safety and reassurance in the soul of the recipient. The diversity of structures in the Qur'anic discourse that range

from statements to rhetorical styles strengthens the text and increases the impact on the reader's psychology. The tranquility of the Children of Israel is a material tranquility, but the tranquility of the Muhammadan nation has been deposited by Almighty Allah in their hearts.

Keywords: Quranic discourse - serenity - psycholinguistics - linguistic unit – syllable

المقدمة:

الحمد لله الذى نوَّر بكتابه القلوب، وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب، فأعيت بلاغتهُ البلغاء، وأعجزت حكمته الحكماء، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد

فإنَّ الإنسان يَمُرُّ في حياته بالعديد من الضغوطات والمشاكل، والتي من شأنها أن تسبب له الإحساس بالضيق والمشاعر المضطربة مما يجعله يبحث عن الطمأنينة والسكينة، والمؤمن بحسب طبعه لا ملجأ له سوى اللجوء إلى ربه وتلاوة آياته، وقد ورد في القرآن الكريم عدة آيات يشعر الإنسان من خلالها بالطمأنينة والسكينة؛ حيث إنها نزلت تثبيتًا لقلوب أصحابها.

ولذا كان الهدف من البحث توضيح دور اللغة في إبراز الأثر النفسي لآيات السكينة على نفس المتلقي في إدخال الهدوء والطمأنينة على قلبه المضطرب من خلال الدراسة والتحليل الصوتي، والصرفي، والتركيبي.

وقد جاء عنوان البحث: **(الخطاب القرآني في آيات السكينة دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي)**.

وقد حاولت من خلال هذا البحث أن أجيب عن الأسئلة الآتية:

١- ما مفهموم الخطاب القرآني والسكينة وعلم اللغة النفسي؟

٢- ما الدلالات الإيحائية للوحدات الصوتية وأثرها النفسي داخل الخطاب القرآني محل الدراسة؟

٣- هل تعددت الوحدات الصرفية وجاءت ملائمة لسياق الآيات محل الدراسة؟

٤- هل تنوعت الوحدات النحوية في الخطاب القرآني للآيات محل الدراسة بما يتناسب مع الحالة النفسية للمتلقي؟

٥-ما أثر السياق في تحديد دلالة بعض الوحدات اللغوية في الآيات محل الدراسة؟

وجاءت آيات السكينة في القرآن الكريم في ستة مواضع: موضع في سورة البقرة، واثنان في سورة التوبة، وثلاثة مواضع في سورة الفتح، وكلها من السور المدنية .

الدراسات السابقة:

يوجد عدد من الدراسات التي تناولت آيات السكينة، منها:

١- السكينة والطمأنينة في القرآن الكريم دراسة دلالية، إعداد: صلاح الدين سليم محمد، مجلة العلوم الإسلامية بالموصل، العدد الثاني عشر عام (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).

٢- آيات السكينة في القرآن الكريم دراسة أسلوبية، إعداد: د/ محمد الورد، جامعة الحديدة باليمن -كلية الآداب- مجلة آداب الحديدة.

٣- آيات السكينة في القرآن الكريم دراسة بلاغية تحليلية، إعداد: د/ تامر محمد حجازي، جامعة الأزهر، مجلة كلية اللغة العربية بالمنوفية عام(١٤٣٩هـ-٢٠١٦م).

٤- السكينة في القرآن الكريم وأثرها على القلوب المتصفة بالإيمان، إعداد: د/ محمود عبد الستار، مجلة أصول الشريعة، المعهد الماليزي للعلوم والتنمية.

٥- السكينة في القرآن الكريم، إعداد: وليد خالد الربيع، مجلة الوعي الإسلامي، العدد: اثنان وعشرون وخمسمائة.

٦- السكينة في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، إعداد: السيد عبد الله عبد الفتاح، جامعة الأزهر مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية – بنات كفر الشيخ- العدد الثاني عام (١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م).

٧- السكينة ونظائرها في القرآن الكريم، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إعداد: محمد محمود خاص، الجامعة الإسلامية بغزة عام (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).

٨- السكينة في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية، إعداد: سعيد أحمد حامد، جامعة الأزهر، مجلة كلية الشريعة بطنطا.

أما عن الدراسة التي تناولتها في بحثي فلم أقف على دراسة تشمل جميع مفردات عنوان البحث وتتناوله.

وقد كان المنهج المتبع في بحثي هو المنهج الوصفي بأداتيه الإحصاء والتحليل، حيث قمت بإحصاء آيات السكينة ثم تحليلها وفق مستويات اللغة المختلفة مع إبراز الجانب النفسي لكل مستوى مستعينة باستخراج دلالة هذه المستويات من كتب الأصوات والمعاجم، والنحو والصرف، والتفسير، وعلوم القرآن، ثم بما فتح الله به عليَّ من فيض جوده وكرمه.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يخرج في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ثم ثبت المصادر والمراجع.

أما المقدمة: فقد أوضحت فيها أهمية الموضوع وهدفه، والدراسات السابقة، وتساؤلات الدراسة، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد وقد اشتمل على:

- أولاً: الخطاب القرآني والنفس البشرية.
- ثانيا: التعريف بالسكينة ومواضع آياتها.
- ثالثا:علم اللغة النفسي والسلوك الإنساني.

المبحث الأول: موضع السكينة في سورة البقرة.

المبحث الثاني: موضعاالسكينة في سورة التوبة، ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: الموضع الأول من السكينة في سورة التوبة.
- المطلب الثاني: الموضع الثاني من السكينة في سورة التوبة.

المبحث الثالث: مواضع السكينة في سورة الفتح، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الموضع الأول من السكينة في سورة الفتح.
- المطلب الثاني: الموضع الثاني من السكينة في سورة الفتح.
- المطلب الثالث: الموضع الثالث من السكينة في سورة الفتح.

ثم جاءت خاتمة البحث، وقد ذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها وتوصيات البحث، ثم ثبت المصادر والمراجع.

وبعد

فإني أحمد الله حمدا كثيرا على أن يسر لي أن أعيش مدة في رحاب قرآنه أتدبره، وأكشف عن بعض أسراره، والله أرجو أن يكتب لعملي القبول إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الباحثة/ نجلاء عبد الله عبد العليم

التمهيد

أولا: الخطاب القرآني والنفس البشرية:

- تعريف الخطاب القرآني:

الخطاب لغة:

يقول ابن فارس:" الْخَاءُ وَالطَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلانِ: أَحَدُهُمَا الْكَلامُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، يُقَالُ: خَاطَبَهُ يُخَاطِبُهُ خِطَابًا، وَالْخُطْبَةُ مِنْ ذَلِكَ"(١)، **ويقول الزمخشري:** " خَاطَبَه أحسن الخِطَاب، وهو المواجهة بالكلام"(٢).

وجاء في المصباح المنير: " خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً وَخِطَابًا وَهُوَ الْكَلامُ بَيْنَ مُتَكَلِّمٍ وَسَامِعٍ، وَمِنْهُ اشْتِقَاقُ الْخُطْبَةِ بِضَمِّ الْخَاءِ وَكَسْرِهَا بِاخْتِلافِ مَعْنَيَيْنِ"(٣).

واصطلاحًا:

عرفه الآمدي بأنه: "اللَّفْظُ الْمُتَوَاضَعُ عَلَيْهِ الْمَقْصُودُ بِهِ إِفْهَامُ مَنْ هُوَ مُتَهَيِّئٌ لِفَهْمِهِ"(٤).

من خلال الربط بين المعنى اللغوي والاصطلاحي يتبين بأن الخطاب هو: المواجهة بالكلام بين متكلم وسامع بغرض الإفهام.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس (خ ط ب) تح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

(٢) أساس البلاغة للزمخشري (خ ط ب) تح: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي (خ ط ب) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

(٤) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ٩٥/١، تح: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان

والخطاب القرآني هو:" كلام الله (عز وجل) موجهًا في معظمه إلى من شهد نزول القرآن بشكل خاص مباشر للرسول ﷺ، وبشكل عام لسائر الناس"(١).

- القرآن الكريم والنفس البشرية:

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم له وقع كبير على النفوس؛ حيث ترق القلوب عند سماعه وتطرب؛ لبلاغته وإعجازه اللغوي، يقول الإمام الخطابي مصورا أثر وقع القرآن الكريم على سامعيه:" قلت في إعجاز القرآن وجهًا آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلامًا غير القرآن منظومًا ولا منثورًا، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتنشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، تقشعر منه الجلود وتنزعج له القلوب يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها؛ فكم من عدو للرسول ﷺ من رجال العرب وفتَّاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله فسمعوا آيات من القرآن، فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيهم الأول، وأن يركنوا إلى مسالمته، ويدخلوا في دينه، وصارت عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً"(٢).

إذا كان هذا هو الأثر النفسي للقرآن الكريم على جميع سامعيه، فما بالنا بالخطاب إذا كان الغرض منه إدخال الطمأنينة والهدوء بألفاظ تتسم بالرقة والسلاسة كما في لفظة (السكينة)، فقد قررت الدراسات اللغوية النفسية أنَّ" لكل كلمة من الكلمات مضموناً منطقيًا، ومضموناً أو ارتباطا نفسيًّا.

---

(١) الخطاب القرآني وأنواعه دراسة بلاغية د/ خالد داد ملك ص:٦٠ جامعة بنجاب لاهور باكستان، العدد الثاني والعشرون عام(٢٠١٥م).

(٢) بيان إعجاز القرآن للخطابي ص: ٧٠، تح: محمد خلف الله، د/ محمد زغلول سلام، الناشر: دار المعارف بمصر.

والمضمون المنطقي وهو: المعنى الذي ينص عليه القاموس في الأغلب، يكون الاشتراك في فهمه واحدًا أو شديد التقارب، ولكن المضمون أو الارتباط النفسي يختلف من متكلم لمتكلم اختلافا كبيرًا، ولا يمنع هذا من أن يشترك جمهور المتكلمين باللغة في طائفة كبيرة من إيحاءاته ومما يرتبط به من ظلال المعاني.

نحن لا نستعمل الكلمة بمعناها المنطقي مفصولًا عن مضمونها النفسي، ولا بهذا مفصولًا عن ذاك، إن الكلمة عندما تصدر عنا، أو عندما تصل إلى أسماعنا، تتضمن هذا وذاك"(١).

ثانيا: التعريف بالسكينة ومواضع آياتها:

- التعريف بالسكينة:

السكينة لغة:

يقول ابن فارس:" السِّينُ وَالْكَافُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الِاضْطِرَابِ وَالْحَرَكَةِ، يُقَالُ: سَكَنَ الشَّيْءُ يَسْكُنُ سُكُونًا فَهُوَ سَاكِنٌ... وَمِنَ الْبَابِ السَّكِينَةُ، وَهُوَ الْوَقَارُ"(٢).

وفي الصحاح :" سَكَنَ الشَّيْءُ سكونًا: استقر وثبت، وسكَّنَهُ غيره تَسْكينا، والسَكينَة: الوَداعُ والوقار"(٣).

وجاء أيضا: " سَكَنَ يسكن سُكُونًا، وَأَسْكَنَهُ هُوَ، وسكنه، وكل مَا هدأ: فقد سكن، كَالرِّيحِ وَالْحر وَالْبرد وَنَحْو ذَلِك... والسكينة: الْوَقار"(٤).

---

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د/ محمود السعران ص: ٢٢٦، الناشر: دار الفكر العربي الطبعة: الثانية القاهرة(١٩٩٧م).

(٢) مقاييس اللغة (س ك ن) .

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري(س ك ن).تح: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة(١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده (س ك ن) تح: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت– الطبعة: الأولى (١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م).

والسكينة: " الْمَهَابَةُ وَالرَّزَانَةُ وَالْوَقَارُ وَحَكَى فِي النَّوَادِرِ تَشْدِيدَ الْكَافِ قَالَ وَلا يُعْرَفُ فِي كَلامِ الْعَرَبِ فِعِّيلَةٌ مُثَقَّلُ الْعَيْنِ إلا هَذَا الْحَرْفُ شَاذًّا"(١).

واصطلاحًا: "ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب، وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن، وهو مبادئ عين اليقين"(٢).

وقد وردت آيات السكينة في ثلاث سور من القرآن وهي: (البقرة– التوبة – الفتح)، وهي من السور المدنية بإجماع الآراء.

يقول الزركشي في ترتيب السور المدنية :" فَأَوَّلُ مَا نَزَلَ فِيهَا سُورَةُ الْبَقَرَةِ ثُمَّ الْأَنْفَالِ ثُمَّ آلِ عِمْرَانَ ثُمَّ الْأَحْزَابِ ثُمَّ الْمُمْتَحِنَةِ ثُمَّ النِّسَاءِ ثُمَّ {إِذَا زُلْزِلَتْ} ثُمَّ الْحَدِيدِ ثُمَّ مُحَمَّدٍ ثُمَّ الرَّعْدِ ثُمَّ الرَّحْمَنِ ثُمَّ {هَلْ أَتَى} ثُمَّ الطَّلَاقِ ثُمَّ {لَمْ يَكُنْ} ثُمَّ الْحَشْرِ ثُمَّ {إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ} ثُمَّ النُّورِ ثُمَّ الْحَجِّ ثُمَّ الْمُنَافِقُونَ ثُمَّ المجادلة ثم الحجرات ... ثُمَّ الصَّفِّ ثُمَّ الْجُمُعَةِ ثُمَّ التَّغَابُنِ ثُمَّ الْفَتْحِ ثُمَّ التَّوْبَةِ ثُمَّ الْمَائِدَةِ"(٣).

ومما لا شك فيه أنَّ في تحديد نوعية الآيات من حيث المكي والمدني له أثر كبير في" تذوق أساليب القرآن والاستفادة منها في أسلوب الدعوة إلى الله، فإن لكل مقام مقالًا، ومراعاة مقتضى الحال من أخص معاني البلاغة، وخصائص أسلوب المكي في القرآن والمدني منه تعطي الدارس منهجًا لطرائق الخطاب في الدعوة إلى الله بما يلائم نفسية المخاطب، ويمتلك عليه لُبّه ومشاعره، ويعالج فيه دخيلته بالحكمة البالغة، ولكل مرحلة من مراحل الدعوة موضوعاتها وأساليب الخطاب فيها، كما يختلف الخطاب باختلاف أنماط الناس ومعتقداتهم وأحوال

---

(١) المصباح المنير (س ك ن).

(٢) التعريفات للجرجاني ١/١٢٠، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان– الطبعة: الأولى عام (١٤٠٣هـ –١٩٨٣م).

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي ١/١٩٤، تح:محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: دار إحياء الكتب العربية الطبعة: الأولى(١٣٧٦ هـ– ١٩٥٧م).

بيئاتهم، ويبدو هذا واضحًا جليًّا بأساليب القرآن المختلفة في مخاطبة المؤمنين والمشركين والمنافقين وأهل الكتاب"(١).

وعلم اللغة النفسي" يفيد من استحضار خصائص البيان القرآني النازل في مكة، والمدينة؛ ليبصر البعد النفسي للغة الخطاب في كل حقبة؛ ليكون من ذلك منهجًا في حسن توظيف اللغة توظيفا يستثمر الأحوال النفسية للمخاطبين"(٢).

ثالثا: علم اللغة النفسي والسلوك الإنساني:

علم اللغة النفسي أحد فروع علم اللغة التطبيقي، وهو من العلوم الحديثة التي لم تستقل استقلالًا تامًّا إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك إثر ظهور الاتجاه المعرفي الفطري في علم اللغة الذي يعد ثمرة الالتقاء الحقيقي بين علم اللغة وعلم النفس؛ احلالا للاتجاه العقلاني المعرفي النفسي في النظرة إلى طبيعة اللغة وأساليب اكتسابها وتعلمه وتعليمها .

فعلم اللغة النفسي هو: "فرع من فروع علم اللغة يدرس العلاقة بين السلوك اللغوي والعمليات النفسية التي يعتقد أنها تفسر ذلك"(٣).

وهو أيضا:"علم يهتم بدراسة السلوك اللغوي للإنسان، والعمليات النفسية العقلية المعرفية التي تحدث في أثناء فهم اللغة، واستعمالها التي بها يكتسب الإنسان اللغة"(٤).

---

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع بن خليل القطان ص:٩٥، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة(١٤٢١هـ- ٢٠٠م).

(٢) الخطاب القرآني في آيات حب الله للمحسنين دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي د/ فاطمة رجب حسانين ص: ١٢٢٥ جامعة الأزهر - مجلة الزهراء- العدد التاسع والعشرون عام(١٤٤١-٢٠١٩م).

(٣) علم اللغة النفسي د/ عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي ص ٢٦ الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض- عام(١٤٢٧ه-٢٠٠٦م).

(٤) علم اللغة النفسي د/ عبد العزيز العصيلي ص ٢٧

- العلاقة بين علم اللغة وعلم النفس:

مما لاشك فيه أنَّ هناك علاقة وثيقة بين علم اللغة وعلم النفس؛ فاللغة هي المرآة التي تعكس أحوال المتكلمين وظروفهم النفسية :" فعلماء النفس يهتمون بالسلوك الإنساني ليوضحوه بصفة عامة، وعلماء اللغة يهتمون به ليوضحوا السلوك اللغوي بصفة خاصة، وتظهر هذه العلاقة في مجال التحليل النفسي، والظواهر اللغوية تكشف عن حقائق نفسية تتعلق بحياة الأفراد والشعوب؛ لأن اللغة هي المُعَبِّر عن خلجات نفوسهم"(١).

- وظيفة اللغة من وجهة نظر علماء النفس:

يرى السلوكيون من علماء النفس أن الوظيفة الأساسية للغة هي:" محاولة الوصول إلى أعماق شعور الجماهير والتأثير في الناس وإقناعهم بالرسالة التي توجه إليهم، ودفعهم إلى عمل سلوكي معين"(٢).

فاللغة لها دور كبير في توجيه السلوك الإنساني فهي" من أقوى الأسلحة النفسية للسيطرة على الأفكار"(٣).

(١) الخطاب القرآني في آيات حب الله للمحسنين دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي د/ فاطمة رجب حسانين ص: ١٢٣٠ جامعة الأزهر – مجلة الزهراء– العدد التاسع والعشرون عام(١٤٤١-٢٠١٩م).

(٢) علم اللغة بين القديم والحديث د/ عاطف مدكور ص١٣، الناشر: دار الثقافة، عام (١٤٠٧ه-١٩٨٧م).

(٣) المرجع السابق نفسه ص١٤

المبحث الأول
موضع السكينة في سورة البقرة

١- [وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾] {البقرة:٢٤٨}

أولا: المعنى العام للآية:

تدور هذه الآية حول قول نبي بني إسرائيل لهم ليقنعهم بأن طالوت جدير بالملك: إنَّ علامة ملكه أن يرد عليهم التابوت الذي سلب منهم، والذي في إتيانه سكون لنفوسهم وطمأنينة لها، وإنَّ في ذلك الذي أتاهم به لآية عظيمة وعلامة ظاهرة تدل على أحقية طالوت بالملك والقيادة(١).

ثانيا: مناسبة الآية لما قبلها:

ولما كان أغلب بني إسرائيل واقفاً مع المشاهدات غير ثابت القدم في الإيمان بالغيب (٢) كان لابد من وجود دليل حسي لهم على ملك طالوت عليهم، ولذا رُدَّ إليهم التابوت الذي سلب منهم حيث كانوا في شوق إلى رجوعه، وجعل ذلك علامة ملك طالوت عليهم.

ثالثا: تأثير الوحدات اللغوية داخل الخطاب القرآني على المتلقي وتوجيه السلوك الإنساني:

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط د/ سيد طنطاوي ٥٦٠/١، الناشر: دار نهضة مصر، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى.

(٢) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ٤١٩/٣، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

أ- الوحدات الصوتية وإيحاءاتها:

(سَكِينَةٌ)

تدور مادة (س ك ن) في اللغة حول معاني الهدوء والاستقرار والوقار، **يقول ابن فارس:**" السِّينُ وَالْكَافُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الِاضْطِرَابِ وَالْحَرَكَةِ، يُقَالُ: سَكَنَ الشَّيْءُ يَسْكُنُ سُكُونًا فَهُوَ سَاكِنٌ... وَمِنَ الْبَابِ السَّكِينَةُ، وَهُوَ الْوَقَارُ"(١).

وفي الصحاح :" سكن الشيء سكوناً: استقر وثبت، وسكَّنَهُ غيره تَسْكينا، والسَكينَة: الوَداعُ والوقار"(٢).

وجاء أيضا: "سَكَنَ يَسْكُنُ سُكُونًا، وَأَسْكَنَهُ هُوَ... وكل مَا هدأ: فقد سكن، كَالرِّيحِ وَالْحر وَالْبرد وَنَحْو ذَلِك... والسكينة: الْوَقار"(٣).

والسكينة: "الْمَهَابَةُ وَالرَّزَانَةُ وَالْوَقَارُ وَحَكَى فِي النَّوَادِرِ تَشْدِيدَ الْكَافِ قَالَ وَلا يُعْرَفُ فِي كَلامِ الْعَرَبِ فُعِّيلَةٌ مُثَقَّلُ الْعَيْنِ إلا هَذَا الْحَرْفُ شَاذًّا"(٤).

أما الأثر النفسي للسكينة فهو: "ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب، وهي نور في القلب يسكن إلى شاهده ويطمئن، وهو مباديء عين اليقين"(٥).

ويقول ابن القيم الجوزية:" وَكَانَ شَيْخُ الْإِسْلامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ – رَحِمَهُ اللَّهُ – إِذَا اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ: قَرَأَ آيَاتَ السَّكِينَةِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي وَاقِعَةٍ عَظِيمَةٍ جَرَتْ لَهُ فِي مَرَضِهِ، تَعْجِزُ الْعُقُولُ عَنْ حَمْلِهَا – مِنْ مُحَارَبَةِ أَرْوَاحٍ شَيْطَانِيَّةٍ، ظَهَرَتْ لَهُ إِذْ ذَاكَ فِي حَالِ ضَعْفِ الْقُوَّةِ – قَالَ: فَلَمَّا اشْتَدَّ عَلَيَّ الْأَمْرُ، قُلْتُ لِأَقَارِبِي وَمَنْ

(١) مقاييس اللغة (س ك ن) .
(٢) الصحاح (س ك ن).
(٣) المحكم والمحيط الأعظم (س ك ن) .
(٤) المصباح المنير (س ك ن).
(٥) التعريفات للجرجاني ١٢٠/١

حَوْلِيَ: اقْرَءُوا آيَاتِ السَّكِينَةِ، قَالَ: ثُمَّ أَقْلَعَ عَنِّي ذَلِكَ الْحَالُ، وَجَلَسْتُ وَمَا بِي قَلَبَةٌ[1].

وَقَدْ جَرَّبْتُ أَنَا أَيْضًا قِرَاءَةَ هَذِهِ الْآيَاتِ عِنْدَ اضْطِرَابِ الْقَلْبِ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ، فَرَأَيْتُ لَهَا تَأْثِيرًا عَظِيمًا فِي سُكُونِهِ وَطُمَأْنِينَتِهِ"[2].

وعندما نتأمل أصوات كلمة (سَكِينَةٌ) نجد تناسقا بين أصواتها والمعنى الذي تدل عليه، فالسين بصفيرها ورخاوتها تحاكي بداية نفاذ الهدوء وتسربه إلى القلب المضطرب؛ لأن الأصوات الرخوة من سماتها أنها أصوات ممتدة، بمعنى أن الهواء لا ينقطع أثناء النطق بها[3]، ثم تأتي الكاف بصوتها الممتد بحركة طويلة وما تتسم به من الشدة لتدل على سيطرة هذا الهدوء على القلب مما يجعله يشعر بالاطمئنان، ثم صوت النون بمقطعه القصير المفتوح وما يتسم به من الذلاقة ليدل على سرعة امتلاء هذا القلب بالراحة والطمأنينة التي أودعها الله – عز وجل– إياه مع استمرار الإحساس بهذا الشعور، وتختتم الكلمة بصوت التاء بمقطعها المتوسط المغلق (تُمْ)[4] لتدل على استقرار الأمان في القلب والتأكيد عليه، ومن ثَمَّ فقد حصلت له الطمأنينة والراحة.

وهكذا نجد أن لفظ (سكينة) بإيحاءات أصواته قد عكس لنا صورة حسية للشعور بالطمأنينة والراحة فمادة " الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا

---

(١) أي: داء، وأصله من القُلاب، وهو داء يصيب الإبل، ثم استعمل في كل داء. ينظر: مطالع الأنوار على صحاح الآثار لابن قرقول ٣٥٩/٥ ، تح: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر– ط١ (١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم الجوزية ٤٧١/٢، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

(٣). ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث د/ رمضان عبد التواب صـ ٤١، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة– ط٣(١٤١٧هـ –١٩٩٧م).

(٤) هذا المقطع بناء على الوصل .

الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدًا أو غنة أو لينًا أو شدة، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه، وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها"(١).

(تَابُوتٌ)

جاء في المعجم الوسيط: "التابوت: الصندوق الَّذِي يحرز فِيهِ الْمَتَاع"(٢)، وجاء أيضا" التابوت الصندوق، والأضلاع وما تحويه كالقلب والكبد ... تشبيهًا بالصندوق"(٣).

وبتأمل أصوات الكلمة القرآنية نجد توافقا بين معناها وأصواتها فقد بدأت بصوت التاء المتحرك بحركة طويلة والذي يتسم بصفات الهمس والاستفال والخفاء وهذا يحاكي بداية ستر الإنسان للأشياء التي يريد حفظها، ثم صوت الباء بشدته وجهره وإصماته ليدل على ثبات الحفظ في الشيء المودع فيه وتأكيده، كما أكد على هذا المعنى تركيبها المقطعي فقد بدأت بمقطعيين متوسطين مفتوحين وهما (تَا – بُو) ليعبرا عن خفاء الشيء المستور مع استمرارية حفظه، ثم اختتمت بمقطع قصير مفتوح (تُ) بخفته ليدل على سهولة الحفظ وثباته؛ حيث إن المقاطع القصيرة تتميز بخفتها وتتابعها، وسرعة نطقها.

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي ص: ١٤٩، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت (١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م).

(٢) المعجم الوسيط ٨١/١، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار) الناشر: دار الدعوة.

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د/ محمد حسن حسن جبل ١٩٧/١، ١٩٦، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة، الطبعة: الأولى عام (٢٠١٠م).

ب-الوحدات الصرفية (المورفيمات)

(ٱلتَّابُوت)

ذكر الجوهري أن التابوت أصله" تابُوَةٌ مِثْلُ تَرْقُوَةٍ، وَهُوَ فَعْلُوَةٌ، فَلَمَّا سَكَنَتِ الْوَاوُ انْقلبت هاءُ التأْنيث تَاءً، وَقَالَ الْقَاسِمُ بْنُ مَعْنٍ: لَمْ تَختلف لغةُ قُريشٍ والأَنصارِ فِي شيءٍ مِنَ الْقُرْآنِ إلا فِي التَّابُوتِ، فلغةُ قُرَيْشٍ بالتاءِ، ولغةُ الأَنصار بالهاءِ"(١).

وقد علق على هذا التصريف ابْنُ بَرِّيٍّ قائلا: " التصريفُ الَّذِي ذَكَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ حَتَّى رَدَّهَا إِلَى تَابُوتٍ تَصْرِيفٌ فاسِدٌ؛ قَالَ: وَالصَّوَابُ أَن يُذكر فِي فَصْلِ تَبَتَ لأَنَّ تاءَه أَصلية، وَوَزْنُهُ فاعُولٌ مِثْلُ عاقُولٍ وحاطُومٍ، والوقْفُ عَلَيْهَا بالتاءِ فِي أَكثر اللُّغَاتِ، وَمَنْ وَقَفَ عَلَيْهَا بالهاءِ فَإِنَّهُ أَبدلها مِنَ التاءِ، كَمَا أَبدلها فِي الفُرات حِينَ وَقَفَ عَلَيْهَا بِالْهَاءِ، وَلَيْسَتْ تاءُ الْفُرَاتِ بتاءِ تأْنيث، وَإِنَّمَا هِيَ أَصلية مِنْ نَفْسِ الْكَلِمَةِ. قَالَ أَبو بَكْرِ بْنُ مُجَاهِدٍ: التَّابُوتُ بالتاءِ قِراءَة النَّاسِ جَمِيعًا، وَلُغَةُ الأَنصار التابُوهُ بالهاءِ"(٢).

والتابوت " أنزله الله على آدم فيه صور الأنبياء، فتوارثه أولاد آدم، وكان في بني إسرائيل يستفتحون به على عدوهم، فغلبتهم العمالقة عليه، فرد الله ذلك التابوت على طالوت، فلما رأوه عنده علموا أن ذلك أمارة ملكه عليهم"(٣).

وأرى – والله أعلم- أنَّ استخدام صيغة فاعول وهي صيغة نادرة يتناسب مع ما كان يمثله التابوت لبني إسرائيل بما يحمله من آثار أنبيائهم التي هي سبب الاعتزاز به، والتيمن واعتباره أمارة عزهم، والصلة بين حاضرهم وماضيهم.

---

(١) الصحاح (ت و ب).

(٢) لسان العرب لابن منظور (ت و ب)، الناشر: دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة (١٤١٤هـ).

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ٣٥/١، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى(١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م)

(سَكِينَةٌ)

جاء التنكير في هذه الوحدة الصرفية للتعظيم ويؤيده السياق اللغوي الذي يتمثل في كون السكينة من عند رب العالمين – سبحانه– وذلك في قوله تعالى: **(مِّن رَّبِّكُمْ) .والسكينة فعيلة من السكون وقد اختلف في تفسيرها على النحو الآتي:** " قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه–: السكينة: ريح هفافة لها وجه كوجه الإنسان، وروي عنه أنه قال: هي ريح خجوج ولها رأسان، وقال مجاهد: السكينة لها رأس كرأس الهرة وجناحان وذنب، وقال:أقبلت السكينة والصرد وجبريل مع إبراهيم من الشام، وقال وهب بن منبه عن بعض علماء بني إسرائيل: السكينة رأس هرة ميتة كانت إذا صرخت في التابوت بصراخ الهر أيقنوا بالنصر، وقال ابن عباس: السكينة طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء، ... وقال وهب بن منبه: السكينة روح من الله يتكلم إذا اختلفوا في شيء أخبرهم ببيان ما يريدون، وقال عطاء بن أبي رباح: السكينة ما يعرفون من الآيات فيسكنون إليها، وقال الربيع بن أنس: (سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) أي رحمة من ربكم، وقال قتادة: (سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُم) أي وقار لكم من ربكم"[(١)].

والصحيح من هذه الأقوال أن المراد بالسكينة ما تأنس به نفوسهم وتقوى، ويؤيده أن التابوت كانت فيه أشياء فاضلة من بقايا الأنبياء وآثارهم، فكانت النفوس تسكن إلى ذلك وتأنس به وتقوى، فالمعهود أن الله ينصر الحق والأمور الفاضلة عنده.

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز١/٣٣٣، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى (١٤٢٢ هـ). لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى(١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م).

(بَقِيَّةٌ)

الْبَقِيَّة: مصدر على وزن فعيلة، وهي "مَا بَقِي من الشَّيْء"(١)، وأصْل بَقِيَّةٌ "بَقْيِيَةٌ، وَلامُ الْكَلِمَةِ يَاءٌ، وَلا حُجَّةَ فِي بَقِيَ؛ لِانْكِسَارِ مَا قَبْلَهَا أَلا تَرَى أَنَّ شَقِيَ أَصْلُهَا وَاوٌ"(٢).

والْبَقِيَّة من الألفاظ المشتركة في اللغة، **يقول الفيروزآبادي:**" وقد وردت على وجوه:

الأَوّل: بمعنى المال والحلال: [بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ ٨٦] {هود:٨٦} .

الثانى: الباقية بمعنى الصّلاة: [وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ٤٦] {الكهف:٤٦} أَي الصّلوات الخمس.

الثالث: بمعنى ميراث الأَموات: [وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ] {البقرة:٢٤٨}.

الرّابع: بمعنى قِلَّة القوم والتَّبَع: [فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ ١١٦] {هود:١١٦}، [فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ٨] {الحاقة:٨}"(٣).

مما سبق يتبين أن المراد بالبقية في الآية الكريمة ميراث الأنبياء، وقد أيد هذا المعنى السياق اللغوي المتمثل في جملة:(مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ).

---

(١) المعجم الوسيط (ب ق ى) .

(٢) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري ١٩٧/١، تح: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيزللفيروزآبادى ٢/ ٢٢٠، تح: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

(٣) تاج العروس للزبيدي (ج ن د)، تح: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية

(تَحْمِلُهُ)

استعمل الخطاب القرآني في هذه الوحدة الصرفية صيغة الفعل المضارع التي تدل على التجدد والاستمرار؛ لاستحضار الصورة في نفس المتلقي كأنه يرى المشهد بعينه.

جـــ- الوحدات النحوية(التركيبية):

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ)

جاءت هذه الوحدة النحوية التركيبية بمثابة الجواب لسؤال محذوف كأنهم قالوا: ما آية ملكه وما علامته؟ فقال: آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة " فقد روي عن ابن مسعود، وابن عباس: أنهم قالوا لنبيهم: إن كنت صادقا فأتنا بآية تدل على أنه ملك، فقال لهم ذلك"(١).

فالله-عز وجل- يطمئنهم بأن آية الملك لطالوت هي مجيء التابوت الذي تتلهف نفوسهم إليه، وترتبط به مقدساتهم، فكأن الاستقرار النفسي سيأتيهم مع هذا التابوت؛ لأن الإنسان حين يجد التابوت الذي نجا به نبي تستريح نفسه.

(أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ)

جاء الخطاب القرآني في هذه الوحدة التركيبية بإسناد الإتيان إلى التابوت مع أن التابوت يُؤتَى به ولا يَأتي؛ لأن التابوت كانت تحمله الملائكة فلن يراهم أحد؛ لأنهم كائنات غير مرئية، وإنما سيرى القوم التابوت آتيا إليهم، ولذلك أسند المجيء للتابوت.

(سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)

كون السكينة من الله سبحانه وتعالى "إشارة إلى أن السكينة والاطمئنان فيض من فيوض الله – سبحانه وتعالى- يرحم به الناس؛ وإن اقترنت تلك

(١) زاد المسير في علم التفسيرلابن الجوزي ١ /٢٢٤، تح: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت- ط (١٤٢٢ هـ).

السكينة بأسباب فليست تلك الأسباب العادية هي المؤثرة في وجودها، بل الذي يوجدها هو رب العالمين، ومن حكمته سبحانه أن جعلها مقترنة بتلك الأسباب الدنيوية، وإن كانت غير مؤثرة فيها بالإيجاد، بدليل أنه قد توجد تلك الأسباب ولا توجد معها السكينة، ولا يكون معها الاطمئنان قط، واقتران السكينة والاطمئنان بالأسباب ليطلب الناس الأسباب، ويرجوا الرحمة منه، وكل شيء عند الله بمقدار"[1].

(مِّمَّا تَرَكَ)

جاءت (مِنْ) في هذه الوحدة النحوية للتَّبعيض[2]، أي: من بقيَّات ربِّكم، ويؤيد هذا المعنى السياق اللغوي الذي يتمثل في لفظ (التابوت) حيث إن التابوت لم يكن يحمل كل ما تركه موسى وهارون – عليهما السلام– فقد كان فيه: " لوحان من التوراة، ورضاض الألواح التي تكسرت لما ألقى موسى(عليه السلام) الألواح، وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم، ونعلا موسى وعصاه، وعمامة هارون وعصاه"[3].

(تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ)

في هذه الوحدة النحوية التركيبية أسند الحمل للملائكة، وهذا له أثر نفسي على المتلقي حيث إن الأثر الذي تحمله الملائكة لابد أن يكون شيئًا عظيمًا يوجب العناية الفائقة به .

---

(١) زهرة التفاسيرلأبي زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى ٨٩٦/٢، الناشر: دار الفكر العربي.

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي٤/ ١٢٧٦، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى(١٤١٩هـ –١٩٩٨م)، البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ٥٨٣/٢، تح: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت – عام (١٤٢٠ هـ)

(٣) الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي ٣٥٨/١

وأيضا **تَحْمِلُهُ** بها قراءتان قراءة الجمهور بالتاء، وقرأ مجاهد (يَحْمِلُه) بالياء من أسفلَ، وإنما جاز ذلك؛ " لأنَّ الفعلَ مُسْنَدٌ لجمعِ تكسيرٍ فيجوزُ في فِعْلِهِ الوجهان".

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ)

اختلف في المشار إليه في قوله: (ذَٰلِكَ) فقيل: التابوت، وقيل: إتيانه، "وهو الأحسنُ لتناسِبَ آخرُ الآيةِ أولَها"(١).

(إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)

هذه الجملة استئنافية وقد جاء جواب الشرط فيها محذوفًا، وتقديره: إن كنتم مؤمنين فارضوا بطالوت ملكا، وقد أيد هذا الحذف السياق غير اللغوي الذي يتمثل في سياق الحال والتقدير: إن كنتم مؤمنين فارضوا بطالوت ملكا. (٢)

وأرى – والله أعلم– أن لهذا الحذف له دلالة نفسية وهي إبراز مواقف اليهود والكشف عما في صدورهم من الكذب والخداع؛ حيث إن الأصل في" إن الشرطية عدم الجزم بوقوع معناها، ولذا كان موقعها الحكم النادر أي القليل الوقوع؛ لكونه غير مقطوع به".(٣)

---

(١) الدر المصون ٥٢٥/٢

(٢) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي ١/ ٢٤٢، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي ٦/٣، الناشر: دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت الطبعة: الرابعة(١٤١٨هـ).

(٣) الجملة الشرطية الواقعة في خواتيم الآيات القرآنية ومقاماتها البلاغية د/ رفعت إسماعيل السوداني ص ٣٩ الطبعة الأولى (١٩٩٥م).

المبحث الثاني

موضعا سورة التوبة

المطلب الأول: الموضع الأول من السكينة في سورة التوبة

١- [ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ {التوبة:٢٦}

أولا: المعنى العام للآية الكريمة:

تدور هذه الآية الكريمة حول إنزال الله- تعالى- على رسوله ﷺ وعلى المؤمنين رحمته التي تسكن إليها القلوب، وتطمئن بها اطمئناناً يستتبع النصر القريب بعد الهزيمة التي تعرَّضَ لها المسلمون في بداية غزوة حنين، وتعذيب الذين كفروا بقتلهم وأسرهم، وذلك جزاءً على كفرهم وصدهم عن سبيل الله.

ثانيا: مناسبة الآية لما قبلها:

يحدثنا د: محمد سيد طنطاوي عن هذه المناسبة قائلًا:" وبعد هذا الخوف الشديد الذي أصاب المؤمنين في مبدأ لقائهم بأعدائهم في غزوة حنين، يجيء نصر الله الذي عبر عنه- سبحانه- بقوله: **(ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ)**"[(١)].

ثالثا: تأثير الوحدات اللغوية داخل الخطاب القرآني على المتلقي وتوجيه السلوك الإنساني:

أ- الوحدات الصوتية وإيحاءاتها:

(عَذَّبَ)

تدور مادة (ع ذ ب) حول عدة معان، منها: التنكيل والعقوبة والمنع، يقول الجوهري:

(١) التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ٢٤٢/٦

" العذاب: العقوبة، وقد عذَّبته تعذيبًا"(١)، وفي المعجم الوسيط:"(عذَّبَه) عاقبه ونَكَّل بِهِ، وَفُلانًا عَن الشَّيْء مَنعه"(٢).

وبتأمل أصوات الكلمة القرآنية نجد تناسقًا بديعًا بين أصواتها وما تدل عليه، فقد بدأت بصوت العين الذي يعد من أنصع الأصوات، والذي يتسم بالجهر ليحاكي بداية التنكيل الذي يكون مُعْلنًا للجميع، ثم يأتي صوت الذال المشدد وما يتسم به من الجهر والإصمات ليدل على شدة التنكيل ووقعه على نفوس أصحابه وتكراره، وتختتم الكلمة بصوت الباء الذي يتسم بالجهر والشدة ليدل على اكتمال العقوبة على النفوس.

كما أن التدرج في مخارج أصواتها يعكس لنا سيطرة ألم العقوبة على نفوسهم فقد بدأت الكلمة بصوت العين الذي يخرج من وسط الحلق، ثم الذال الذي يخرج من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، وختمت بصوت الباء الذي يخرج من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا.

ب- الوحدات الصرفية(المورفيمات):

(سَكِينَتَهُ)

السَّكِينَةُ: فعيلة من السكون واختلف في معناها فقيل: هي " النَّصْرُ الَّذِي سَكَنَتْ إِلَيْهِ النُّفُوسُ، قَالَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ(٣)، وَقَالَ الزمخشري: رَحْمَتُهُ الَّتِي سَكَنُوا بِهَا(٤)، وقيل: الوقار وَالثَّبَاتُ بَعْدَ الِاضْطِرَابِ وَالْقَلَقِ"(٥).

---

(١) الصحاح (ع ذ ب).
(٢) المعجم الوسيط (ع ذ ب).
(٣) المحرر الوجيز ٢٠/٣
(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري٢٦٠/٢، دار الكتاب العربي – بيروت– الطبعة: الثالثة(١٤٠٧هـ).
(٥) البحر المحيط ٣٩٤/٥

وفي هذه الوحدة الصرفية قراءتان فقد قرأ الجمهور (سَكِينَتَهُ) على وزن فَعِيلة، وقَرَأَ زَيْد بْنُ عَلِيٍّ:" سِكِّينَتَهُ بِكَسْرِ السِّينِ وَتَشْدِيدِ الْكَافِ مُبَالَغَةً فِي السَّكِينَةِ، نَحْوُ: شِرِّيبٍ وَطِبِّيخٍ"(١).

(جُنُودًا)

الْجُنُود: جَمع جُنْد " وَالْجُنْدُ: اسْمُ جَمْعٍ لا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، لكنه جَمْعُهُ باعْتِبَارِ تَعَدُّدِ الْجَمَاعَاتِ؛ لِأَنَّ الْجَيْشَ يَتَأَلَّفُ مِنْ جُنُودٍ: مُقَدِّمَةٍ وَمَيْمَنَةٍ وَمَيْسَرَةٍ وَقَلْبٍ وَسَاقَةٍ" (٢)، فقد جاء في تاج العروس:" الجُنْد بالضمّ: العَسْكَرُ والأَعوانُ والأَنْصار، والجمعُ الأَجْنَادُ والجُنُودُ، والواحدُ جُنْديٌّ، فالياءُ للوَحْدة، مثل رُوم ورُوميّ ... والجُنْد: المَدينَةُ وجمعُها أَجنادٌ ... وكلُّ صنف مِن الخلْق جُنْدٌ على حِدةٍ وَالْجمع كالجمْع "(٣).

وَالْمُرَادُ بِالْجُنُودِ هُنَا جَمَاعَاتٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلُونَ بِهَزِيمَةِ الْمُشْرِكِينَ، ويؤيد هذا المعنى السياق اللغوي الذي يتمثل في جملة: (وأنزل) وجملة (لم تروها) فالله – عز وجل– أنزل جنودًا من الملائكة لم يرها المؤمنون بأبصارهم، ولكنهم وجدوا أثرها في قلوبهم، حيث عاد إليهم ثباتهم وإقدامهم.

وأرى – والله أعلم– التعبير بلفظ الجنود له أثر نفسي كبير في إدخال الطمأنينة على نفس المتلقي، والفزع والخوف على الكافرين.

(جُنُودًا)

جاء التنكير في هذه الوحدة الصرفية للتكثير والتعظيم، ويؤيده كون هذه الجنود من عند رب العالمين سبحانه، وأنها نزلت تأييدًا للمؤمنين ونصرة لهم، وهذا لاشك له أثر نفسي في تثبيت المؤمنين والثقة بنصر الله عز وجل.

---

(١) المرجع السابق نفسه

(٢) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٥١/٢٦،الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس (١٩٨٤هـ).

(٣) تاج العروس(ج ن د)

(عَذَّبَ)

جاءت صيغة فعَّل في هذه الوحدة الصرفية للتكثير وهذا يعكس لنا مدى التنكيل والألم الذي وقع بهم حيث إن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى، فالله -عز وجل- **عَذَّبَ** هؤلاء الكافرين "بِالْقَتْلِ الَّذِي اسْتَحَرَّ فِيهِمْ، وَالْأَسْرِ لِذَرَارِيِّهِمْ وَنِسَائِهِمْ، وَالنَّهْبِ لِأَمْوَالِهِمْ، وَكَانَ السَّبْيُ أَرْبَعَةَ آلافِ رَأْسٍ، وَقِيلَ: سَتَّةَ آلافٍ، وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا "[١].

(كَفَرُواْ)

استعمل الخطاب القرآني في هذه الوحدة الصرفية صيغة الفعل دون الاسم؛ لأن من الكافرين مَن آمن بعد ذلك.

الوحدات النحوية(التركيبية):

(ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّه)

استعملت (**ثُمَّ**) في هذه الوحدة التركيبية حرف عطف بمعنى الترتيب والتراخي؛ لأنه كانت هناك مدة بين الاضطراب وحصول السكينة، فالله -عز وجل- أنزلها برحمة منه، بعد أخذ النبي ﷺ في جمع أسبابها، واتخاذ أسباب النصر[٢].

(ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّه سَكِينَتَهُ)

في هذه الوحدة التركيبية أضاف الخطاب القرآني السكينة إلى ضمير الله عز وجل؛ وهذا له أثر نفسي كبير في إدخال الطمأنينة والثبات في قلب النبي ﷺ والمؤمنين لأن ما يكون من عند الله لا يتغير، ولا يتحول، ولا يتبدل فهي سكينة ثابتة قائمة، تُؤتِي ثمارها وغايتها[٣]، وهذا يدل على شرفها وعلو شأنها.

---

(١) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٠/١٥٧،١٥٨

(٢) ينظر: زهرة التفاسير ٦/٣٢٦٨

(٣) ينظر: زهرة التفاسير ٦/٣٢٦٨

(عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ)

جاء حرف الجر(على) مكررًا بعد العطف؛ للتنبيه عَلَى تَجْدِيدِ تَعْلِيقِ الْفِعْلِ بِالْمَجْرُورِ الثَّانِي، والإشارة إِلَى التَّفَاوُتِ بَيْنَ السَّكِينَتَيْنِ:" فَسَكِينَةُ الرَّسُولِ- صلى الله عليه وسلم- سَكِينَةُ اطْمِئْنَانٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ مَعَهُ وَثِقَةٍ بِالنَّصْرِ، وَسَكِينَةُ الْمُؤْمِنِينَ سَكِينَةُ ثَبَاتٍ وَشَجَاعَةٍ بَعْدَ الْجَزَعِ وَالْخَوْفِ"(١)، **وأيضا:** للدلالة على أن السكينة عامة ولم تخص، وتأكيدها بالنسبة للمؤمنين.

وقداستعمل الخطاب القرآني لفظ (المؤمنين) دون المسلمين للإشارة إلى أن هذه السكينة كانت خاصة بالذين آمنت قلوبهم، واطمأنت بالإيمان نفوسهم.

(وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟)

استعمل الخطاب القرآني في هذه الوحدة التركيبية لفظ العذاب دون الألم للإشارة إلى أن تعذيبهم كان مستمرًا ولم ينقطع، وذلك بالقتل والأسر والظفر بأموالهم وذراريهم.

فالعذاب" أخص من الْأَلَم؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَذَاب هُوَ الْأَلَم المستمر يكون مستمرًا وَغير مُسْتَمر أَلا ترى أَن قرصة البعوض ألم وَلَيْسَ بِعَذَاب، فَإِن اسْتمرّ ذَلِك قلت عذَّبني البعوض اللَّيْلَة، فَكل عَذَاب ألم وَلَيْسَ كل ألم عذَابا، وأصل الْكَلِمَة الِاسْتِمْرَار وَمِنْه يُقَال: مَاء عذب لاستمرائه فِي الْحلق"(٢).

(وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ)

اشتملت هذه الوحدة التركيبية على دلالتين، وهما: إضافة لفظ **(جَزَآءُ)** للكافرين؛ لبيان سبب اسحقاقهم هذا التنكيل الشديد وهو الكفر.

---

(١) التحرير والتنوير ١٥٨/١٠

(٢) معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص٢٣٩، تح: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي.

ثم ختمت الآية الكريمة بقوله تعالى: (وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ) ليبين أن هذه هي نهاية الكافرين في كل زمان ومكان مهما قويت حدتهم وكثرت عددتهم، فلا بد من العدالة الإلهية، وفي هذا تطمين لقلوب المؤمنين في كل زمان بأن الله ناصرهم على أعدائهم.

المطلب الثاني: الموضع الثاني من السكينة في سورة التوبة

٢- قال الله تعالى:[إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ {التوبة:٤٠}

أولا: المعنى العام للآية الكريمة:

تدور هذه الآية الكريمة حول مخاطبة الله عز وجل أصحاب رسوله ﷺ أنهم إن لم ينصروا رسوله ﷺ فإنه ناصره، ومؤيده، وكافيه، وحافظه كما تولى نصره عام الهجرة لما هَمَّ المشركون بقتله، حيث أنزل طمأنينته وسكونه على رسوله، وقوّاه بجنودٍ من عنده من الملائكة، وجعل كلمة أهل الشرك السُّفْلى؛ لأنها قُهِرَت وأذِلَّت، ومُحِقَ أهلها، وكلمة الله هي العليا، والله عزيز في انتقامه من أهل الكفر به، لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب، حكيم في تدبيره خلقَه، وتصريفه إياهم في مشيئته.

ثانيا: مناسبة الآية لما قبلها:

ولما أمر الله –عز وجل– بقتال المشركين كافة وحثهم على التقوى، وكان بعضهم قد توانى في ذلك، اشتد اقتضاء الحال لمعاتبة على التثاقل عن النفر، فلما تَمَّ ذلك في هذا الأسلوب البديع والطراز الرفيع بيَّن سبحانه أنَّه يَنْصُرُ نبيه كَمَا نَصَرَهُ حِينَ كَانَ ثَانِيَ اثْنَيْنِ لا جَيْشَ مَعَهُ، فَالَّذِي نَصَرَهُ حِينَ كَانَ ثَانِيَ اثْنَيْنِ

قَدِيرٌ عَلَى نَصْرِهِ وَهُوَ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ، فَتَبَيَّنَ أَنَّ تَقْدِيرَ قُعُودِهِمْ عَنِ النَّفِيرِ لا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا(١).

ثالثا: تأثير الوحدات اللغوية داخل الخطاب القرآني على المتلقي وتوجيه السلوك الإنساني:

أ- الوحدات الصوتية وإيحاءاتها:

(تَحْزَنْ)

تدور مادة (ح ز ن) في اللغة حول عدة معان منها: الخشونة والغلظة، والغم والتوجع، وترقيق الصوت، **يقول ابن فارس:**"(حَزَنَ) الْحَاءُ وَالزَّاءُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ خُشُونَةُ الشَّيْءِ وَشِدَّةٌ فِيهِ فَمِنْ ذَلِكَ الْحَزْنِ، وَهُوَ مَا غَلُظَ مِنَ الْأَرْضِ، وَالْحُزْنُ مَعْرُوفٌ، يُقَالُ: حَزَنَنِي الشَّيْءُ يَحْزُنُنِي؛ وَقَدْ قَالُوا: أَحْزَنَنِي"(٢).

وفي الوسيط:" حَزَن الْأَمر فلانا حَزنًا: غَمَّه وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز {يَا أَيهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِين يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْر} ... (حَزَّن) الْقَارئ فِي قِرَاءَته رقق صَوته بهَا، وَالْأَمر فلانا: أحزنه... (تَحَزَّن) عَلَيْهِ وَله: توجَّع... (الْحَزْن) من الأَرْض: مَا غلظ، وَمن الدَّوَاب: مَا صعبت رياضته، وَمن النَّاس: من خشنت مُعَامَلَته"(٣).

ويقول الجوهري: " الحُزْنُ والحَزَنُ: خلاف السرور"(٤).

وبالنظر في أصوات الكلمة القرآنية نجد أنها عبرت عن المعنى أتم تعبير فقد بدأت الكلمة بصوت الحاء وهو صوت لغوي يتسم بصفات الضعف حيث إنه صوت مهموس رخو مستفل منفتح خفي، وهذا الضعف يحاكي الضعف الذي

(١) ينظر: نظم الدرر ٤٧٣/٨، والتحرير والتنوير ٢٠١/١٠.
(٢) مقاييس اللغة (ح ز ن)
(٣) المعجم الوسيط (ح ز ن).
(٤) الصحاح(ح ز ن).

يحدث للإنسان نتيجة لتعرضه لموقف يتسم بالشدة والصعوبة، وأيضا الإحاطة[١] التي يتسم بها حرف الحاء تعبر عن شمول القلب لهذا الشعور، ثم يأتي صوت الزاي بجهره وصفيره ليحاكي الاضطراب والخفقان الذي يحدث لقلب الإنسان نتيجة هذا الشعور، فالقلب يخفق ويضطرب إما لفرح أصابه أو غم، وتختتم الكلمة بصوت النون الذي يتسم بالذلاقة والجهر ليعبر عن تمكن هذا الشعور من القلب واستمراره ما دامت علته موجودة .

ب- الوحدات الصرفية(المورفيمات):

(تَنصُرُوهُ)

استعمل الخطاب القرآني في هذه الوحدة الصرفية صيغة الفعل المضارع وهو هنا بمعنى الاستقبال، ويؤيد هذا المعنى السياق اللغوي، والذي يتمثل في دخول (لا) الناهية عليه، **يقول المرادي:**" وإذا وقع بعد (لا) جملة ليس لها محل من الإعراب لم تكن عاطفة...وأما النافية غير العاطفة والجوابية، فإنها تدخل على الأسماء، والأفعال، فإذا دخلت على الفعل فالغالب أن يكون مضارعًا، ونص الزمخشري، ومعظم المتأخرين على أنها تخلصه للاستقبال، وهو ظاهر مذهب سيبويه"[٢].

(ٱلْغَارِ)

التعريف في هذه الوحدة الصرفية جاء للعهد[٣] **يقول الطاهر بن عاشور:**" وَالتَّعْرِيفُ فِي الْغَارِ لِلْعَهْدِ، لِغَارٍ يَعْلَمُهُ الْمُخَاطَبُونَ، وَهُوَ الَّذِي اخْتَفَى فِيهِ النَّبيﷺ

(١) ينظر: خصائص الحروف العربية لحسن عباس ص ٢٦٤، الناشر: اتحاد كتاب العرب (١٩٩٨م).

(٢) الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم المرادي ص:٢٩٦، تح: د/ فخر الدين قباوة –الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى (١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م).

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن ٤/ ٨٨، التحرير والتنوير ٢٠٣/١٠

وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ خُرُوجِهِمَا مُهَاجِرَيْنِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهُوَ غَارٌ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ خَارِجَ مَكَّةَ إِلَى جَنُوبِيِّهَا، بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ نَحْوَ خَمْسَةِ أَمْيَالٍ، فِي طَرِيقِ جَبَلِيٍّ"(١).

و(الغار) من الألفاظ المشتركة في اللغة، **يقول الأزهري**:" الْغَار: نباتٌ طيِّبٌ الرَّائحة على الوَقود، وَمِنْه السُّوس... وغارُ الفَمِ: نِطْعاه فِي الحَنَكَيْن، والغارُ: مغارةٌ فِي الجبَل كَأَنَّهُ سَرَبٌ، والغارُ: لُغةٌ فِي الغيْرَة، والغارُ: الجماعةُ من النَّاس... والغارُ: الجمْعُ الْكثير من النَّاس... والغار شجَر"(٢).

وجاء في الصحاح:"والغاران: البطن والفرج...والغارُ:الجيش يقال:التقى الغارانِ،أي:الجيشان، والغارُ: ضرب من الشجر، ومنه دُهن الغارِ"(٣).

والمراد بالغار في الآية الكريمة المغارة في الجبل وهو غار ثور الذي اختبأ فيه سيدنا رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر– رضي الله عنه– في أثناء الهجرة، وقد أيد هذا المعنى السياق الخارجي وهو سياق الحال.

(يَقُولُ)

استعمل الخطاب القرآني صيغة الفعل المضارع مع أن الحال حكاية الحال الماضية؛ وذلك لاستحضار الصورة في نفس المتلقي وكأنه يرى المشهد المبارك أمام عينيه.

(بِجُنُودٍ)

جاء التنكير في هذه الوحدة الصرفية للتعظيم، ويدل عليه السياق اللغوي الذي يتمثل في قوله تعالى:(**وَأَيَّدَهُ**)، فتأييد الله عز وجل لنبيه ﷺ لا بد وأن يكون عظيمًا حيث أمده بقوى من قوى الحق فكانت عينًا تحرسه، ويدًا تردّ من يريد السّوء به.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٠٣/١٠

(٢) تهذيب اللغة (غ و ر) .

(٣) الصحاح (غ و ر).

(ٱلسُّفۡلَىٰۗ - ٱلۡعُلۡيَا)

استعمل الخطاب القرآني في هاتين الوحدتين الصرفيتين اسم التفضيل مؤنثا؛ لأنه جاء محلى بأل، فـ(ٱلسُّفۡلَىٰۗ) مؤنّث الأسفل و(ٱلۡعُلۡيَا)، مؤنّث الأعلى.

وقد جاء التعبير عن كلمة الذين كفروا بـــالسفلى للدلالة على أنها مغلوبة وفوقها غيرها، وقد جعلت واقعة بدر كلمة الإسلام هي العليا، فالله – سبحانه وتعالى– أراد أن يلفتنا إلى أن الباطل مهما قويت حدته لا يمكن أن يعلو على الحق، وأن الحق دائمًا هو الأعلى.

(عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

عزيز وحكيم: صفتان من صفات الله –سبحانه وتعالى– وقد جاءت على صيغة فعيل الدالة على المبالغة وهي: "تفيد ثبوت الصفة ورسوخها فلا تستعمل إلا عند قصد تأكيد الفعل" (١)، وقد جاء التعبير بالعزة والحكمة مناسبًا لمقام الآية، حيث ناسب " الْوَصْفُ بِالْعِزَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ، وَالْحِكْمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَا يَصْنَعُ مَعَ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَمَنْ عَادَاهُمْ مِنْ إِعْزَازِ دِينِهِ وَإِخْمَادِ الْكُفْرِ"(٢).

ولعل السر في اختيار الخطاب القرآني في هذه الوحدة الصرفية لصيغة فعيل هو الإفادة من ظلال المعاني التي تحويها هذه الصيغة فهي تفيد المبالغة في العلم والحكمة، وتفيد ثبوت ذلك ودوامه لله عز وجل.

جـــ– الوحدات النحوية(التركيبية):

{ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ }

---

(١) أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة د/ أحمد مختار عمر ص ٦٦، الطبعة الأولى.

(٢) البحر المحيط ٤٢٢/٥

في هذه الوحدات التركيبية تكررت (إذ) ثلاث مرات في ثلاثة أزمنة وهي: زمن الإخراج، وزمن الغار، والزمن الذي قال فيه رسول الله ﷺ لأبي بكر: (**لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ**)، وقد جاء النصر في هذه الأزمنة الثلاثة؛ ساعة الإخراج من مكة، وساعة دخوله صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر الغار، وساعة حديثه مع أبي بكر.

وهذا التكرار له أثر نفسي على نفس المتلقي حيث " يَتَجَلَّى تَأْيِيدُهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ أَكْمَلَ التَّجَلِّي، فَهُوَ يُذَكِّرُهُمْ بِوَقْتِ خُرُوجِهِ ﷺ مُهَاجِرًا مَعَ صَاحِبِهِ بِمَا كَانَ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ شِدَّةِ الضَّغْطِ وَالِاضْطِهَادِ ... وَيَتْلُوهُ تَذْكِيرُهُمْ بِإِيوَائِهِ مَعَ صَاحِبِهِ إِلَى الْغَارِ لَا يَمْلِكَانِ مِنْ أَسْبَابِ الدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمَا شَيْئًا، ثُمَّ يَخُصُّ بِالذِّكْرِ وَقْتَ قَوْلِهِ لِصَاحِبِهِ: لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا... وَعِلَّتِهِ إِيمَانُهُ الْأَكْمَلُ بِمَعِيَّةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- الْخَاصَّةِ"(١).

(فَأَنزَلَ ٱللَّهُ)

استعمل الخطاب القرآني في هذه الوحدة النحوية الفاء التي تدل على التعقيب، وهذا يؤيد أنَّ السَّكِينَةَ إنَّما أُنْزِلَتْ عَقِبَ حلوله ﷺ وصاحبه في الْغَارِ، وَأَنَّهَا مِن أسباب النَّصْرِ، إِذْ هِيَ نَصْرٌ معنوي، أما التأييد بالملائكة فكان نَصْرًا حسيًّا، وَلَيْسَ بلازم أَنْ يَكُونَ نُزُولُ السَّكِينَةِ عَقِبَ قَوْلِهِ: (**لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ**) بَلْ إِنَّ قَوْلَهُ: ذَلِكَ هُوَ مِنْ آثَارِ سَكِينَةِ اللَّهِ- عز وجل- الَّتِي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ، وَتِلْكَ السَّكِينَةُ هِيَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ نَصْرِ اللَّهِ إِيَّاهُ(٢).

---

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني ٣٧٠،٣٧١/١٠، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: (١٩٩٠م).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢٠٣/١٠

(فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ)

جاء فعل الإنزال في هذه الوحدة التركيبية متعديا بـــ(على) ليفيد إحاطة السكينة القلب وشمولها إياه؛ لما يفيده على من الاستعلاء(١).

(عَلَيْهِ)

اختلف في عود الضمير في « **عَلَيْهِ** » فقيل: يرجع إلى النبي ﷺ وقيل: إلى أبي بكر-رضي الله عنه- وإلى هذا الرأي ذهب جمهور المفسرين(٢)، وقيل: يرجع إلى النبي ﷺ وأبي بكر- رضي الله عنه- لأنّ الهاء في معنى التثنية، والتقدير: فأنزل الله سكينته عليهما، فاكتفى باعادة الذِّكر على أحدهما من إعادته عليهما كقوله تعالى: (وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ {التوبة:٦٢})(٣)، والراجح عود الضمير إلى أبي بكر ويؤيد هذا المعنى السياق اللغوي الذي يتمثل في لفظ (سَكِينَتَهُ)؛ حيث إن السكينة إنما يَحتاج إليها المنزعج، ولم يكن النبيّ ﷺ منزعجًا بل كان مطمئنًا بأن الله ناصره ومؤيده.

فالنَّبِي ﷺ " كَانَ ثَابِتَ الْجَأْشِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا)".(٤)

---

(١) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ص: ٤٧٦

(٢) ينظر: الوسيط للواحدي ٤٩٩/٢، التفسير الكبيرللرازي ٥٢/١٦، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت- ط٣ (١٤٢٠هـ)،: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٨/٨، أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٨١/٣ تح:محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – ط١ (١٤١٨ هـ)، البحر المحيط ٤٢٢/٥، اللباب في علوم الكتاب ٩٦/١٠، تفسير أبي السعود ٦٦/٤، فتح القديرللشوكاني ٤١٥/٢، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت ط١(١٤١٤هـ)، التحرير والتنوير ٢٠٤/١٠، تفسير الشعراوي للشيخ محمد متولي الشعراوي ٥١٣٠/٨، الناشر: مطابع أخبار اليوم .

(٣) ينظر: زاد المسير٢٦١/٢

(٤) ينظر: البحر المحيط ٤٢٢/٥

(إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ)

استعمل الخطاب القرآني في هذه الوحدة التركيبية أسلوب الشرط، لكن اختلف في جوابه على النحو الآتي:

أ- ذهب بعض المفسرين إلى أنَّ الجواب قوله: (فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ)(١).

ب- بينما ذهب فريق آخر إلى أنَّ الجواب محذوف والتقدير فسينصره الله(٢).

والراجح أن الجواب محذوف، ويؤيده السياق اللغوي المتمثل في جملة: (فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ) أَيْ: يَنْصُرُهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ كَمَا نَصَرَهُ فِي الْمَاضِي، حيث إنَّ فعل الشرط جاء حاضرًا مستقبلًا والجواب ماضيا، وقد جاء دليل الجواب ماضيا؛ ليدل على الوثوق من حدوث الجواب " فحين دعاهم الله – عز وجل – لينفروا فتثاقلوا، أوضح لهم سبحانه: أتظنون أن جهادكم هو الذي سينصر محمدًا وينصر دعوته؟ لا؛ لأنه سبحانه قادر على نصره، والدليل على ذلك أن الله قد نصره من قبل في مواطن كثيرة، وأهم موطن هو النصر في الهجرة، وقد نصره برجل واحد هو أبو بكر على قريش وكل كفار مكة، وكذلك نصره في بدر بجنود لم تروها، إذن: فسابقة النصر من الله لرسوله سابقة ماضية، وعلى ذلك فليست هي الجواب، بل هي دليل الجواب"(٣).

وهذا الحذف له دور فعال في إدخال الطمأنينة، كما يؤكد على التيقن من النصر.

(لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ)

جاء الخطاب القرآني في هذه الوحدة التركيبية بأسلوب النهي الذي خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى الإيناس؛ لأن مخاطبة الرسول ﷺ لأبي بكر- رضي الله

(١) ينظر: المحرر الوجيز ٣٥/٣، ونظم الدرر ٤٧٣/٨

(٢) ينظر: البحر المحيط ٤٢٠/٥، الدر المصون ٥١/٦، اللباب في علوم الكتاب ٩٤/١٠، الجدول في إعراب القرآن ٣٤٣/١٠

(٣) تفسير الشعراوي ٥١٢٤/٨

عنه- في الغار ليس الغرض منها الكف عن الحزن الذي بدا عليه، وإنما الغرض زرع الأمان والاطمئنان في نفسه وبث الإيناس في قلبه، وقد أيد هذا المعنى السياق اللغوي الذي يتمثل في جملة (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا) فمن كان الله معه فهو كافيه عن كل حزن وألم.

(وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ)

في هاتين الوحدتين التركيبيتين جاء التعبير في جانب الكافرين بالجملة الفعلية (جَعَل) لِمَا يُشْعِرُ بِهِ الْجَعْلُ مِنْ إِحْدَاثِ تغيير وتحول" فَأَمْرُ الْمُشْرِكِينَ كَانَ بِمَظِنَّةِ الْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ عَدَدٍ كَثِيرٍ وَفِيهِمْ أَهْلُ الرَّأْيِ وَالذَّكَاءِ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ خَذَلَهُمُ اللَّهُ وَقَلَبَ حَالَهُمْ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى سُفْلٍ"(١).

بينما مع الله -عز وجل- استعملت الجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والدوام؛ ليتناسب ذلك مع كلمة الله فهي عليا دائمًا، لا يدانيها شيءٌ، ولا يتبدل شأنُها، ولا يتغيرُ حالُها دون غيرِها من الكلم.

(١) التحرير والتنوير ١٠/٢٠٥ .

المبحث الثالث

مواضع السكينة في سورة الفتح

المطلب الأول: الموضع الأول من السكينة في سورة الفتح

٤- [هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ {الفتح:٤}.

أولا: المعنى العام للآية:

بينت هذه الآية سعة فضل الله – تعالى- ورحمته بعباده المؤمنين حيث أنزل السكينة والطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين، فانشرحت صدورهم لهذا الصلح بعد أن ضاقت في أول الأمر؛ ليزدادوا يقيناً على يقينهم، وتصديقًا إلى تصديقهم وثباتًا على ثباتهم.

فهو- سبحانه – الذي يدبر أمرهم كيف شاء، ويدفع بعضهم ببعض كما تقتضي حكمته وإرادته، وهو الحكيم في جميع أفعاله.

ثانيا: مناسبة الآية لما قبلها:

أوضح الخازن هذه المناسبة قائلًا: "ولَمَّا قال الله تعالى: [وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ {الفتح:٣}، بيّن وجه هذا النصر كيف هو، وذلك أنه تعالى جعل السكينة التي هي الطمأنينة والثبات في قلوب المؤمنين، ويلزم من ذلك ثبات الأقدام عند اللقاء في الحروب وغيرها فكان ذلك من أسباب النصر الذي وعد الله – تعالى- نبيه ﷺ[1].

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- ط ١ (١٤١٥هـ).

ثالثا: تأثير الوحدات اللغوية داخل الخطاب القرآني على المتلقي وتوجيه السلوك الإنساني:

أ- الدلالة الصوتية وإيحاءاتها:

(أَنزَلَ)

تدور مادة (ن ز ل) في اللغة حول الهبوط والنقل، **يقول ابن فارس:** "النُّونُ وَالزَّاي وَاللامُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى هُبُوطِ شَيْءٍ وَوُقُوعِهِ، وَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ نُزُولًا، وَنَزَلَ الْمَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ نُزُولًا"(١)، **ويقول الكفوي:** "الْإِنْزَال: هُوَ نقل الشَّيْء من أَعلَى إِلَى أَسْفَل، وَهُوَ إِنَّمَا يلْحق الْمعَانِي بتوسط لُحُوقه الذوات الحاملة لَهَا، وَيسْتَعْمل فِي الدفعي؛ لِأَن (أفعلته) يكون لإيقاع الْفِعْل دفْعَة وَاحِدَة"(٢).

بالتأمل في أصوات كلمة (أنزل) يتبين أنها توحي بالقوة والعظمة من خلال أصواتها وصيغتها فأصواتها تتسم بصفات القوة مما يعكس لنا صورة هذا الإنزال فقد بدأت الكلمة بصوت الهمزة المجهور الذي يصور لنا بدء الإنزال فهو ليس كأي إنزال إنما هو من رب العالمين سبحانه، ثم يأتي صوت النون وما يتسم به من الذلاقة ليصور لنا سهولة هذا الإنزال، ثم صوت الزاي وما يتسم به من الجهر والصفير حيث يوحي اهتزازه بالشدة والاضطراب الذي يصاحب الإنزال، وتختتم الكلمة بصوت اللام الذي يتسم بالتوسط ليعبر عن اكتمال هذا الإنزال على قلوب المؤمنين.

(يَزْدَادُوٓاْ)

تدور مادة (ز ي د) في اللغة حول النمو والتضاعف، فقد جاء في لسان العرب:" الزِّيادة: النُّموّ، وكَذَلِكَ الزُّوادَةُ، وَالزِّيَادَةُ: خِلافُ النُّقْصَانِ، زَاد الشيءُ يزيدُ زَيْدا وزِيدا وَزِيَادَةً وَزِيَادًا ومَزِيدا ومَزادا أَي ازدَاد"(٣).

---

(١) مقاييس اللغة (ن ز ل).
(٢) الكليات للكفوي ص ١٩٦.
(٣) لسان العرب (ز ي د)

وجاء أيضا:" ازداد الطَّريقُ اتِّساعًا مُطاوع زادَ: تضاعف اتِّساعه، ازداد الطفلُ بُكاءً- الأمرُ صعوبةً- { لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا } - { إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ {آل عمران:٩٠}"(١).

وبالنظر في أصوات كلمة زاد يتبين أنها جاءت ملائمة لمعناها فقد بدأت بصوت الزاي المتحرك بحركة طويلة والذي يتسم بصفتي الصفير والرخاوة ليعكس لنا نفوذ الإيمان وامتداده في قلوب المؤمنين، ثم ختمت الكلمة بصوت الدال القوي حيث يتسم بصفات الجهر والشدة والإصمات مع امتداده بحركة طويلة ليصور لنا مدى قوة هذا الإيمان في قلوب أصحابه.

ب- الوحدات الصرفية (المورفيمات):

(أَنزَلَ)

جاء الفعل في هذه الوحدة الصرفية متعديًّا بالهمزة دون التضعيف؛ حيث إن إنزال السكينة في قلوب المؤمنين كان دفعة واحدة، ولم يكن تدريجيًّا، ومن ثمَّ جاء التعبير بـــ(أنزل) دون(نزَّل) وفي ذلك **يقول أبو هلال العسكري**:" الإنزال: دفعي، والتنزيل: للتدريج قلت: ويدلك عليه قوله تعالى: [نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ {آل عمران:٣} حيث خص القرآن بالتنزيل؛ لنزوله منجمًا، والكتابين بالإنزال؛ لنزولهما دفعة"(٢).

وفي التعبير عن ذلك بالإنزال" إشعار بعلو شأنها، حتى لكأنها كانت مودعة في خزائن رحمة الله- تعالى- ثم أنزلها بفضله في قلوبهم بعد ذلك"(٣).

---

(١) اللغة العربية المعاصرة (ز ي د) د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٢) معجم الفروق اللغوية ص٧٩

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم د/ محمد سيد طنطاوي الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة الطبعة: الأولى (١٩٩٨م)، ٢٦١/١٣

(ٱلسَّكِينَةَ)

جاءت هذه الوحدة الصرفية معرفة بأل إشارة إلى كمالها وبلوغها غاية الرفعة حيث انشرحت صدور المؤمنين لهذا الصلح بعد أن ضاقت في أول الأمر، **يقول د/ محمد سيد طنطاوي**:" والسكينة: من السكون، والمراد بها الثبات والطمأنينة التي أودعها- سبحانه- في قلوب المؤمنين، فترتب على ذلك أن أطاعوا الله ورسوله، بعد أن ظنوا أنَّ في شروط صلح الحديبية ظلمًا لهم"(١).

(لِيَزۡدَادُوٓاْ)

جاء الفعل في هذا الخطاب القرآني بصيغة المضارع ليدل على التجدد والاستمرار؛ لما في الزيادة من معنى امتداد الشيء عن أصله، يقول الطاهر بن عاشور:" وَجُعِلَ ذَلِكَ الِازْدِيَادُ كَالْعِلَّةِ لِإِنْزَالِ السَّكِينَةِ فِي قُلُوبِهِمْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَلِمَ أَن السكينَة إِذْ حَصلَتْ فِي قُلُوبِهِمْ رَسَخَ إِيمَانُهُمْ، فَعُومِلَ الْمَعْلُومُ حُصُولُهُ مِنَ الْفِعْلِ مُعَامَلَةَ الْعِلَّةِ وَأُدْخِلَ عَلَيْهِ حَرْفُ التَّعْلِيلِ وَهُوَ لامُ- كَيْ- وَجُعِلَتْ قُوَّةُ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ إِيمَانٍ آخَرَ دَخَلَ عَلَى الْإِيمَانِ الْأَسْبَقِ؛ لِأَنَّ الْوَاحِدَ مِنْ أَفْرَادِ الْجِنْسِ إِذَا انْضَمَّ

إِلَى أَفْرَادٍ أُخَرَ زَادَهَا قُوَّةً فَلِذَلِكَ عَلِقَ بِالْإِيمَانِ ظَرْفُ مَعَ فِي قَوْلِهِ: مَعَ إِيمانِهِمْ فَكَانَ فِي ذَلِكَ الْحَادِثِ خَيْرٌ عَظِيمٌ لَهُمْ كَمَا كَانَ فِيهِ خير للنبي ﷺ بِأَنْ كَانَ سَبَبًا لِتَشْرِيفِهِ بِالْمَغْفِرَةِ الْعَامَّةِ، وَلِإِتْمَامِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ وَلِهِدَايَتِهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَلِنَصْرِهِ نَصْرًا عَزِيزًا، فَأَعْظِمْ بِهِ حَدَثًا أَعْقَبَ هَذَا الْخَيْر للرسول ﷺ وَلِأَصْحَابِهِ"(٢).

(إِيمَٰنِهِمۡ)

جاء التنكير في هذا الخطاب القرآني للتكثير ويؤيده جملة:(**لِيَزۡدَادُوٓاْ**)، وقوله:(**مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ**) يقول ابن عباس – رضي الله عنهما- :" بعث الله -عز

(١) التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ٢٦١/١٣

(٢) المحرر الوجيز ١٥٠/٢٦

وجل- رسوله ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة، ثم الزكاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل دينهم، فكلما أمروا بشيء وصدقوه، ازدادوا تصديقًا إلى تصديقهم"[١].

(وَكَانَ ٱللَّهُ)

جاء الفعل في هذه الوحدة الصرفية بلفظ الماضي ليدل على ثبوت ذلك لله – تعالى- ودوامه فهو الملك الأعظم أزلًا وأبدًا .

(عَلِيمًا حَكِيمًا)

عليم وحكيم: صفتان من صفات الله -سبحانه وتعالى- وقد جاءت كلا منهما على صيغة فعيل الدالة على المبالغة وهي:" تفيد ثبوت الصفة ورسوخها فلا تستعمل إلا عند قصد تأكيد الفعل"[٢]، أي وكان الله مُبالغا في العلمِ بجميعِ الأمورِ { حَكِيمًا } في تقديرِه وتدبيرِه.

وقد جاء ختام الآية الكريمة بهاتين الصفتين ليتوافق ذلك مع سياقها، ويتناسب مع ما خفي على المسلمين من حكمة الصلح، وما ظهر لهم بعد ذلك من أسرار ومكاسب حصلوا عليها، والتي تتمثل في:

١- اعتراف قريش بالمسلمين بدليل عقد الصلح معهم.

٢-وقف الحرب بين الطرفين لمدة عشر سنين.

٣- انطلاق دعوة الإسلام ولذلك زاد عدد المسلمين من ثلاثة آلاف قبل الهدنة إلى عشرة آلاف عام الفتح.

٤- تفرغ النبي ﷺ والمسلمين لقتال خيبر والظفر بغنائمها.

---

(١) لباب التأويل ١٥٤/٤

(٢) أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة د/ أحمد مختار عمر ص ٦٦ الطبعة الأولى.

الوحدات النحوية(التركيبية):

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ)

هذه الجملة التركيبية جاءت بيانٌ لما أفاضَ الله – عزوجل- علي عباده المؤمنين من مباديء الفتحِ من الثباتِ والطُّمأنينةِ التي أنزلها في قلوبهم بسبب الصلحِ، والأمنِ إظهارًا لفضلِه تعالى عليهم بتيسيرِ الأمنِ بعد الخوفِ[١].

(لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ)

استعملت اللام في هذا الخطاب القرآني للتعليل[٢]، ويؤيد هذا المعنى السياق اللغوي المتمثل في جملة:**(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ)**، أي" أوجد السكينة وخلقها في قلوبهم، ليزدادوا يقيناً على يقينهم، وتصديقًا إلى تصديقهم وثباتًا على ثباتهم"[٣].

(وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)

جاء الخطاب القرآني في هذه الجملة التركيبية بتقديم الخبر على المبتدأ "لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ، إِذْ لا اعْتِدَادَ بِمَا يَجْمَعُهُ الْمُلُوكُ وَالْفَاتِحُونَ مِنَ الْجُنُودِ لِغَلَبَةِ الْعَدُوِّ بِالنِّسْبَةِ لِمَا لِلَّهِ – سبحانه- مِنَ الْغَلَبَةِ لِأَعْدَائِهِ وَالنَّصْرِ لِأَوْلِيَائِهِ"[٤].

وهذا مما لا شك فيه له أثر كبير في إدخال الثبات والطمأنينة في قلوب المؤمنين؛ حيث إنه يحمل في طياته تهديد لأهل مكة ولجميع المشركين المعادين

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود ١٠٥/٨

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ١٥٠/٢٦، إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين درويش٢٣١/٩، الناشر: دار الإرشاد للشؤن الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)،ط٤ (١٤١٥هـ)، الجدول في إعراب القرآن ٢٤٣/٢٦، التفسير الوسيط د / محمد سيد طنطاوي ٢٦١/١٣

(٣) التفسير الوسيط د/محمد سيد طنطاوي ٢٦١/١٣

(٤) ينظر: التحرير والتنوير١٥١/٢٦

لرسول الله ﷺ وللإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان إن هم تمادوا في عداوتهم أن يسلط الله عليهم جندا من جنوده كما سلط الملائكة عليهم يوم بدر، والريح في معركة الأحزاب .

(وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)

جاءت هذه الوحدة التركيبية بمثابة التأكيد لِمَا قَبْلَها مِنَ الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ وَإِنْزَالِ السَّكِينَةِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، فالله –عز وجل– عَلِيمٌ بِأَسْبَابِ الْفَتْحِ وَالنَّصْرِ، وَعَلِيمٌ بِمَا تَطْمَئِنُّ بِهِ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الاضطراب الذي وقع لهم، وَأَنَّهُ حَكِيمٌ يَضَعُ مُقْتَضَيَاتِ عِلْمِهِ فِي مَوَاضِعِهَا الْمُنَاسِبَةِ، وأوقاتها الملائمة(١).

المطلب الثاني: الموضع الثاني من السكينة في سورة الفتح

٥– [لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحًا قَرِيبًا ١٨ {الفتح:١٨}.

أولا: المعنى العام للآية:

تدور هذه الآية الكريمة حول بيان رضا الله –عز وجل– عن المؤمنين الذين بايعوا رسول تحت الشجرة؛ حيث علم ما في قلوبهم من الصدق والإخلاص وإيثار الآخرة على الأولى، فأنزل السكينة والطمأنينة والأمان عليهم، وأعطاهم ومنحهم فتحًا قريبًا، وهو فتح خيبر.

ثانيًا: مناسبة الآية لما قبلها:

لَمَّا ذَكر الله – عز وجل– " حَالَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنِ السَّفَرِ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ ذَكَرَ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ الْخُلَّصِ الَّذِينَ سَافَرُوا مَعَهُ، وَالْآيَةُ دَالَّةٌ عَلَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى عَنْهُمْ، وَلِذَا سُمِّيَتْ: بَيْعَةُ الرِّضْوَانِ وَكَانُوا فِيمَا رُوِيَ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةٍ وَعِشْرِينَ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي أَوْفَى: وَثَلَاثَمِائَةٍ"(٢).

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) البحر المحيط ٤٩١/٩، ٤٩٢

ثالثا: تأثير الوحدات اللغوية داخل الخطاب القرآني على المتلقي وتوجيه السلوك الإنساني:

أ-الدلالة الصوتية وإيحاءاتها:

(رَضِيَ)

يقول ابن فارس:" الرَّاءُ وَالضَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ السُّخْطِ، تَقُولُ رَضِيَ يَرْضَى رِضًى، وَهُوَ رَاضٍ وَمَفْعُولُهُ مَرْضِيٌّ عَنْهُ"(١).

ورضا الله سبحانه وتعالى عن عبده: "هو أن يراه مؤتمرا لأمره، ومنتهيًا عن نهيه، قال الله تعالى: [رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ {المائدة:١١٩}، وقال تعالى: [لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ {الفتح:١٨}"(٢).

ولما كان رضا الله -سبحانه وتعالى- هو أسمى ما يتمناه المسلم؛ لما في رضاه من الشعور بالراحة والطمأنينة، جاءت أصوات الكلمة معبرة عنها أتم تعبير حيث بدأت بصوت الراء الذي يتسم بالذلاقة ليعبر عن سرعة حصول المسلم على رضا ربه كلما امتثل لأمره وانتهى عن نواهيه، ثم يأتي صوت الضاد بجهره وإطباقه واستعلائه وإصماته ليعبر عن قوة هذا الرضا حيث إنه رضا رب العالمين، ومن ثَمَّ تشبع النفس المؤمنة وتمتلئ بالطمأنينة، وتختتم الكلمة بصوت الياء برخاوتها لتدل على استمرار الشعور بهذا الرضا.

ب- الوحدات الصرفية (المورفيمات):

(يُبَايِعُونَكَ)

جاء الخطاب القرآني في هذه الوحدة الصرفية بصيغة المضارع المستعمل في الزمان الماضي لدخول (إذ) عليه؛ "لاستحضار حالة المبايعة الجليلة، وكون الرضى حصل عند تجديد المبايعة ولم ينتظر به تمامها"(٣).

---

(١) مقاييس اللغة (رض ي).
(٢) المفردات ص ٣٥٦.
(٣) التحرير والتنوير ١٧٣/٢٦.

(ٱلشَّجَرَةِ)

جاءت الوحدة الصرفية في هذا الخطاب القرآني معرفة بأل، والتعريف هنا للعهد، يقول الإمام الزركشي: "فَأَمَّا التَّعْرِيفُ فَلَهُ أَسْبَابٌ: الْأَوَّلُ: الْإِشَارَةُ إِلَى مَعْهُودٍ خَارِجِيٍّ... الثَّانِي لِمَعْهُودٍ ذِهْنِيٍّ أَيْ فِي ذِهْنِ مُخَاطِبِكَ كقوله تعالى:{ **إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ** } { **إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ** }، وَإِمَّا حُضُورِيٍّ نَحْوُ: {**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** } فَإِنَّهَا نَزَلَتْ يَوْمَ عَرَفَةَ"(١).

ويؤيد كون اللام للعهد السياق اللغوي والذي يتمثل في جملة: **(يُبَايِعُونَكَ)** فإن المبايعة كانت تحت شجرة يقال: لها سَمُرة، يقول الطاهر بن عاشور: "وَالتَّعْرِيفُ فِي الشَّجَرَةِ تَعْرِيفُ الْعَهْدِ وَهِيَ: الشَّجَرَةُ الَّتِي عَهِدَهَا أَهْلُ الْبَيْعَةِ حِينَ كَانَ النبي ﷺ جَالِسًا فِي ظِلِّهَا، وَهِيَ شَجَرَةٌ مِنْ شَجَرِ السَّمُرِ- بِفَتْحِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَضَمِّ الْمِيمِ- وَهُوَ شَجَرُ الطَّلْحِ"(٢).

(أَثَٰبَهُمْ)

الفعل في هذه الوحدة الصرفية جاء بصيغة الماضي وهو مستعمل في المستقبل؛ لأن الفتح لمَّا يقع بعد؛ لكنه جاء بهذه الصيغة لدلالة على تحقق الوقوع، فالله -عز وجل- مع هذا الرضوان الذي شمل به المؤمنين من أهل الحديبية قد فتح عليهم خيبر وملأ أيديهم من مغانمها، وبهذا رجعوا ومعهم حظ الدنيا والآخرة جميعًا.

(فَتْحًا)

جاء التنكير في هذه الوحدة الصرفية للتعظيم؛ لكونه من عند رب العالمين سبحانه، فقد " أعطاهم رب البرية جزاء لهم على ما وهبهم من الطاعة والسكينة

(١) البرهان في علوم القرآن ٨٨/٤، وكذا في نظم الدرر ٣١٦/١٨.
(٢) التحرير والتنوير ١٧٤/٢٦.

فيها جزاء، مقبلا عليهم، يملأ مواضع احتياجهم، هو أهل لأن يقصده الإنسان ... لما له من الإقبال والمُكْنة والشمول ... بما أوقع سبحانه من الصلح المترتب على تعجيز قريش عن القتال ... بترك القتال الموجب بعد راحتهم وقوتهم وجموعهم؛ لاختلاط بعض الناس ببعض فيدخل في الدين من كان مباعدا له لما يرى من محاسنه".(١)

فقد عوَّضهم على الرِّضى بقضائه والصَّبر على أمره فَتْحًا قَرِيبا وهو خيبر، وَمَغانم كَثِيرَة؛ لأنها كانت ذا عَقار وأموال.

جـــ- الوحدات النحوية(التركيبية):

(لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)

بدأت هذه الجملة التركيبية بعدة مؤكدات وهي: مورفيمات القسم المحذوف ولام التأكيد وقد، وهذه المؤكدات تبعث الطمأنينة في نفوس المؤمنين، وترفع المخاوف عنها، كما تؤكد على أهمية البيعة وتزيدها مهابة في النفوس، فـــ**(قَدْ)** "حرف يختصّ بالفعل، والنّحويّون يقولون: هو للتّوقّع وحقيقته أنه إذا دخل على فعل ماض فإنما يدخل على كلّ فعل متجدّد"(٢).

وفي استعمال هذه الأداة التي تتكون من صوتين شديدين في مقطع متوسط مغلق يعطي بانغلاقه دلالة التأكيد على رضاه – عز وجل- عن المبايعين من المؤمنين.

(فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ)

اختلف العلماء في معنى الفاء فقيل: للتعقيب؛ "لِأَنَّهُ عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الصِّدْقِ فَرَضِيَ عَنْهُمْ" (٣).

---

(١) نظم الدرر ٣١٧/١٨.

(٢) المفردات ص ٦٥٧.

(٣) التحرير والتنوير ١٧٥/٢٦.

وقد اعترض على هذا المعنى الإمام الرازي حيث تسائل قائلا: فَكَيْفَ يُفْهَمُ التَّعْقِيبُ فِي الْعِلْمِ؟ وأجاب على ذلك قائلا :" قَوْلُهُ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ كَمَا يَقُولُ الْقَائِلُ: فَرِحْتُ أَمْسِ إِذْ كَلَّمْتُ زَيْدًا فَقَامَ إِلَيَّ، أَوْ إِذْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ فَأَكْرَمَنِي، فيكون الفرح بعد الإكرام ترتيبا كذلك، هاهنا"(١).

وقيل: " الفاء فصيحة تُفْصِحُ عَنْ كَلامٍ مُقَدَّرٍ بَعْدَهَا، وَالتَّقْدِيرُ: فَلَمَّا بَايَعُوكَ عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْكَآبَةِ وَلَيْسَتْ لِلتَّعْقِيبِ؛ لِأَنَّ عِلْمَ اللَّهِ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ لَيْسَ عَقِبَ رِضَاهُ عَنْهُمْ وَلا عَقِبَ وُقُوعِ بَيْعَتِهِمْ"(٢)، فعلم الله –عز وجل– بحالهم وحالنا في كل وقت وكل حين.

أي "فعلم ما في قلوبهم من الرِّضَا بِالْبَيْعَةِ أَنْ لا يَفِرُّوا، وَقَالَ الْفَرَّاءُ: مِنَ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ، وَقَالَ الطَّبَرِيُّ، وَمُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ: مِنَ الْإِيمَانِ وَصِحَّتِهِ، وَالْحُبِّ فِي الدِّينِ وَالْحِرْصِ عَلَيْهِ، وَقِيلَ: مِنَ الْهَمِّ وَالِانْصِرَافِ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، وَالْأَنَفَةِ مِنْ ذَلِكَ، عَلَى نَحْوِ مَا خَاطَبَ بِهِ عُمَرُ وَغَيْرُهُ، وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ **يَتَرَتَّبُ مَعَهُ** نُزُولُ السَّكِينَةِ وَالتَّعْرِيضِ بِالْفَتْحِ الْقَرِيبِ"(٣).

المطلب الثالث: الموضع الثالث من السكينة في سورة الفتح

٦-[إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ {الفتح:٢٦}.

أولا: المعنى العام للآية:

تتحدث هذه الآية الكريمة عن ما كان عليه المشركون من جهالة استولت على نفوسهم، حيث منعوا المسلمين من دخول مكة، ومن الطواف بالمسجد

(١) التفسير الكبير ٧٩/٢٨ .

(٢) التحرير والتنوير١٧٥/٢٦.

(٣) البحر المحيط ٤٩٢/٩،٤٩٣.

الحرام، وحيث منعوا الهدى من أن يبلغ محله، وحيث أبوا أن يكتب في الصحيفة التي عقدت بينهم وبين المسلمين، بسم الله الرّحمن الرّحيم، أو محمد رسول الله ﷺ وفي مقابل ذلك أنزل الله- تعالى- طمأنينته وسكينته على رسوله وعلى المؤمنين، حيث لم يجعلهم يقابلون سفاهات المشركين بسفاهات مثلها، وجعلهم ملتزمين بما تقتضيه كلمة التقوى وقدَ كان- سبحانه- وما يزال بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيما لا يخفى عليه أمر، ولا يغيب عن علمه شيء(١).

ثانيًا: مناسبة الآية لما قبلها:

بيَّن البقاعي مناسبة الآية لما قبلها قائلا:" ولما بين شرط استحقاقهم للعذاب، بين وقته، وفيه بيان لعلته، فقال: { **إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ** }"(٢).

ثالثًا: تأثير الوحدات اللغوية داخل الخطاب القرآني على المتلقي وتوجيه السلوك الإنساني:

أ- الوحدات الصوتية وإيحاءاتها:

(الحَمِيَّة)

تدور مادة (ح م ي) في اللغة حول معاني الدفع والغضب والغيرة، **يقول الخليل:**" وحَمَيْتُ القومَ حِمايةً ومَحْمِيَةً، وكلّ شيءٍ دفعتَ عنه فقد حَمَيْتَهُ، وحَمِيتُ من هذا الشّيء أَحْمَى منه حَمِيَّةً، أي: أَنِفْتُ أَنَفا وغضبًا، ومشى في حَمِيَّتِهِ أي: في حَمْلَتِهِ"(٣).

ويقول الجوهري:" حَمَيْتُهُ حِمايَةٌ، إذا دفعت عنه، وهذا شيء حمى على فعل أي: محظور لا يقرب... وأحميت المكان: جعلتُه حِمىً... وحَمَيْتُ عن كذا حَمِيَّةً بالتشديد ومَحْمِيَةً، إذا أَنِفْتَ منه وداخَلَك عارٌ، وأنفَةٌ أن تفعله"(٤).

---

(١) ينظر: التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ٢٨١/١٣، ٢٨٢.

(٢) نظم الدرر ٣٢٩/١٨.

(٣) العين للخليل(ح م ي) تح: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

(٤) الصحاح(ح م ي).

وجاء في لسان العرب: "وحَمَيْت القومَ حِمايةً، وحَمَى فلانٌ أَنْفَه يَحْمِيه حَمِيَّةً ومَحْمِيَةً، وفُلانٌ ذُو حَمِيَّةٍ مُنْكَرَة إِذَا كَانَ ذَا غَضَبٍ وأَنَفَةٍ"(١).

وفي الوسيط:" **(ٱلْحَمِيَّةَ)**: الأنفة وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز{ **إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ** }، والمحافظة على الْمحرم وَالدّين من التُّهْمَة"(٢).

وبالنظر في أصوات كلمة **(حَمِيَّة)** نجد تناسقا عجيبًا بين معنى الكلمة وأصواتها وذلك من خلال التدرج في المخارج حيث بدأت بصوت الحاء الذي يخرج من وسط الحلق، ثم صوت الميم الذي يخرج من الشفتين وهذا يعكس لنا امتلاء قلوب المشركين بهذه الأنفة وسيطرتها عليهم حيث صدوا رسول الله ﷺ وصحابته الكرام عن المسجد وهذا لم يحدث في تاريخ العرب فهم على الرغم من وثنيتهم لم يصدوا عن بيت الله أحدا من قبل إلا من أراده بسوء، واختتام الكلمة بصوت الياء المشدد يدل على تمكن هذه الأنفة من قلوبهم؛ حيث إن الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى.

كما أن غلبة صفات الضعف على أصوات هذه الكلمة ساعدت في تصوير هذه الأنفة على أنها عصبية جاهلية خلافا للفطرة السوية بها استعلاء وتطاول بغير حق، لا يضبطها عقل، ولا تسوسها حكمة.

فالحاء صوت لغوي يوصف بست صفات منها ما هو من صفات القوة، وهو صفة واحدة: الإصمات، والخمس الباقية من صفات الضعف وهي: الهمس والرخاوة والاستفال والانفتاح والخفاء؛ ولذا عدت الحاء من الأصوات الأضعف(٣).

---

(١) لسان العرب (ح م ي).

(٢) الوسيط (ح م ي).

(٣) ينظر: عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة د/ عبد العزيز علام ص: ١٦٤،١٦٥، الطبعة الرابعة عام(١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

وصوت الميم صوت لغوي يوصف بسبع صفات: اثنتان منها من صفات القوة، وهما الجهر والغنة، وأما صفات الضعف فهي: الانفتاح والاستفال والخفاء والتوسط.

أما الياء فهي صوت لغوي يوصف بخمس صفات: اثنتان منها من صفات القوة وهما الجهر والإصمات، وأما صفات الضعف فهي: الرخاوة والانفتاح والاستفال.

ب- الوحدات الصرفية(المورفيمات):

(ٱلْحَمِيَّةَ)

جاء التعبير في هذه الوحدة الصرفية بالمصدر ليدل على رسوخ هذه الصفة في قلوب المشركين وثباتها لهم فالحميَّةُ: الأنَفَةُ من الشيءِ، ووزنُها فعيلة، وهي مصدرٌ يقال: حَمَيْتُ عن كذا حَمِيَّةً.

وقد "عبّر عن القوّة الغضبيّة إذا ثارت وكثرت بالحمية، يقال: حميت على فلان؛ أي: غضبت عليه... وذلك؛ لأنّ في الغضب ثوران دم القلب وحرراته وغليانه، وحميّة الجاهلية: حمية في غير موضعها لا يؤيّدها دليل ولا برهان، بل مدارها مطلق المنع، سواء كان بحق أم بباطل، فتمنع من الإذعان والقبول للحق، ومبناها التشفّي على مقتضى الغضب لغير الله، فتوجب تخطّي حدود الشرع، ولذلك أنفوا من دخول المسلمين مكة المشرفة لزيارة البيت العتيق الذي الناس فيه سواءٌ، وأصل الحميّة: حميية على وزن فعيلة، أدغمت ياء فعيل في ياء لام الكلمة"(١).

(ٱلْحَمِيَّةَ)

جاء التعريف في هذه الوحدة الصرفية للعهد ويؤيده السياق اللغوي المتمثل في قوله:(**حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ**) يقول الإمام الرازي:" قَالَ الْحَمِيَّةَ ثُمَّ أَضَافَهَا بِقَوْلِهِ: (**حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ**) لِأَنَّ الْحَمِيَّةَ فِي نَفْسِهَا صِفَةٌ مَذْمُومَةٌ وَبِالْإِضَافَةِ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ

(١) تفسير حدائق الروح والريحان ٣٢٤/٢٧.

تَزْدَادُ قُبْحًا، وَلِلْحَمِيَّةِ فِي الْقُبْحِ دَرَجَةٌ لا يُعْتَبَرُ مَعَهَا قُبْحُ الْقَبَائِحِ كَالْمُضَافِ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ"(١).

(وَكَانُوٓاْ)

استعمل الخطاب القرآني في هذه الوحدة الصرفية صيغة الفعل الماضي؛ ليدل" عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَحَقِّيَّةَ رَاسِخَةٌ فِيهِمْ حَاصِلَةٌ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي، أَيْ فِي قَدَرِ اللَّهِ تَعَالَى"(٢) أي "أَنَّ نُفُوسَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَتْ مُتَهَيِّئَةً لِقَبُولِ كَلِمَةِ التَّقْوَى وَالْتِزَامِهَا بِمَا أَرْشَدَهَا اللَّهُ إِلَيْهِ"(٣).

(أَحَقَّ)

في هذه الوحدة الصرفية استعمل الخطاب القرآني أفعل التفضيل، الذي يزيد من أحقية المؤمنين في الأهلية، وقد حذف المفضل عليه وتقديره "أَيْ أَحَقَّ بِهَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَدَّرَ لَهُمُ الِاسْتِعْدَادَ لِلْإِيمَانِ دُونَ الَّذِينَ أَصَرُّوا عَلَى الْكُفْرِ"(٤).

فهؤلاء المؤمنين كانوا أحق بكلمة التقوى؛ لأنهم سمعوها واتبعوها؛ فكانوا أحق بها من كفار مكة؛ الذين أصموا آذانهم عن استماعها، وقلوبهم عن قبولها، وغيرهم من جميع الخلائق.

(وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ)

جاء الفعل (ألزم) في هذه الوحدة الصرفية متعديًا بالهمزة، يقول الفيومي:" لَزِمَ الشَّيْءُ يَلْزَمُ لُزُومًا ثَبَتَ وَدَامَ وَيَتَعَدَّى بِالْهَمْزَةِ فَيُقَالُ: أَلْزَمْتُهُ أَيْ أَثْبَتُّهُ وَأَدَمْتُهُ، وَلَزِمَهُ الْمَالُ وَجَبَ عَلَيْهِ، وَلَزِمَهُ الطَّلَاقُ وَجَبَ حُكْمُهُ وَهُوَ قَطْعُ الزَّوْجِيَّةِ "(٥).

---

(١) التفسير الكبير ٨٤/٢٨.

(٢) التحرير والتنوير١٩٧/٢٦.

(٣) السابق نفسه.

(٤) التحرير والتنوير١٩٧/٢٦.

(٥) المصباح المنير (ل ز م).

فالإلزام الثبات والمداومة على الشيء، وقد جاء التعبير القرآني بألزم وهو هنا ثبات ومداومة على الحق، ويؤيده السياق اللغوي المتمثل في قوله: **(كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ)، يقول أبو هلال العسكري:**" الفرق بين اللزوم والإلزام: أن اللزوم لا يكون إلا في الحق يقال: لزم الحق ولا يقال: لزم الباطل، والإلزام يكون في الحق والباطل، يقال: ألزمه الحق وألزمه الباطل"(١).

وقد اختلف العلماء في تحديد المراد بكلمة التقوى على عدة أقوال على النحو الآتي:

١- هي لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ و" قد رُوِيَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَبِهِ قَالَ عَلِيٌّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَعَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ، وَقَتَادَةُ، وَمُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَسَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ، وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ، وَالرَّبِيعُ، وَالسُّدِّيُّ، وَابْنُ زَيْدٍ.

٢- وَقِيل: هِيَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ.

٣- وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَابْنُ عُمَرَ- رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ.

٤- وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَعَطَاءُ الْخُرَاسَانِيُّ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

٥- وَقَالَ الْمِسْوَرُ بْنُ مَخْرَمَةَ، وَمَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ: كَلِمَةُ التَّقْوَى هُنَا هِيَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَهِيَ الَّتِي أَبَاهَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، فَأَلْزَمَهَا اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَجَعَلَهُمْ أَحَقَّ بِهَا.

٦- وَقِيلَ: قَوْلُهُمْ سَمْعًا وَطَاعَةً"(٢).

---

(١) معجم الفروق اللغوية ص ٤٦٤

(٢) فتح القدير للشوكاني ٦٤/٥

والراجح من هذه الأقوال الرأي الأول وهي قول لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ هِيَ الَّتِي يُتَّقَى بِهَا الشِّرْكُ بِاللَّهِ.

(شَيْءٍ)

التنكير في هذه الوحدة الصرفية يدل على العموم، ويؤيده قوله:(**بِكُلِّ**)، وفي هذا التنكير الدال على العموم " إِشَارَةٌ إِلَى عِلْمِهِ تَعَالَى بِالْمُؤْمِنِينَ وَرَفْعِ الْكُفَّارِ عَنْهُمْ، وَإِلَى عِلْمِهِ بِصُلْحِ الْكُفَّارِ فِي الْحُدَيْبِيَةِ، إِذْ كَانَ سَبَبًا لِامْتِزَاجِ الْعَرَبِ وَإِسْلَامِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ، وَعُلُوِّ كَلِمَةِ الْإِسْلَامِ وَكَانُوا عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةٍ، وَبَعْدَهُ بِعَامَيْنِ سَارُوا إِلَى مَكَّةَ بِعَشَرَةِ آلَافٍ"[1].

(عَلِيمًا)

استعمل الخطاب القرآني في هذه الوحدة الصرفية صيغة فعيل وهي من صيغ المبالغة فهي " تفيد ثبوت الصفة ورسوخها فلا تستعمل إلا عند قصد تأكيد الفعل" [2] أي وكان الله مُبالغا في العلمِ بجميعِ الأمورِ.

جـ- الوحدات النحوية (التركيبية):

(إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ)

جاء التعبير في هذا الخطاب القرآني بكلمة جعل في جانب الكافرين "التي تشعر بأن الكافرين كأنهم قد ألقوا هذه **الحَمِيَّة** الجاهلية في قلوبهم إلقاء بدون تعقل أو تدبر، بينما عبر في جانب النبي ﷺ والمؤمنين بكلمة أنزل التي تشعر كأن السكينة كانت في خزائنه- تعالى- ثم أنزلها بعد ذلك على قلب رسوله ﷺ وعلى قلوب المؤمنين؛ ليزدادوا إيمانًا على إيمانهم"[3].

---

(١) البحر المحيط ٤٩٨/٩.

(٢) أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة د/ أحمد مختار عمر ص ٦٦.

(٣) تفسير الوسيط د /محمد سيد طنطاوي ٢٨/١٣.

(فَأَنزَلَ ٱللَّهُ)

جاء الخطاب القرآني في هذه الوحدة التركيبية بالفاء دون الواو ليدل على الْمُقَابَلَةِ كما تقول: أكرمني فَأَكْرَمْتُهُ، فَدَلَّتْ عَلَى الْمُجَازَاةِ؛ لِلْمُقَابَلَةِ.

وإسناد فعل الإنزال إلى الله – عز وجل- يوحي بأهمية تلك السكينة وعظمتها، وكأنها نزلت من خزائن رحمته، ومستودعات أسراره الإلهية، ولطائفه الربانية، فكانت بردًا وسلامًا على قلوب المؤمنين.

(فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ)

في هذه الوحدة التركيبية أضيفت السكينة إلى ضمير الله –عز وجل- وفي هذا تشريف وإبراز لأثرها في تثبيت نفس النبي ﷺ ونفوس المؤمنين.

(عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ)

جاء الخطاب القرآني في هذه الوحدة النحوية بتكرار حرف الجر(**عَلَىٰ**) لأن السكينة نزلت على رسوله أولا ثم المؤمنين وهذا ما أوضحه أبو حيان قائلًا:" ولَمَّا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ هُوَ الَّذِي أَجَابَ أَوَّلًا إِلَى الصُّلْحِ، وَكَانَ الْمُؤْمِنُونَ عَازِمِينَ عَلَى الْقِتَالِ، وَأَنْ لا يَرْجِعُوا إِلَى أَهْلِهِمْ إِلا بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ أَوِ النَّحْرِ فِي الْمَنْحَرِ، وَأَبَوْا إِلا أَنْ يَكْتُبُوا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبِاسْمِ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى: عَلى رَسُولِهِ، وَلَمَّا سَكَنَ هُوَ ﷺ لِلصُّلْحِ سَكَنَ الْمُؤْمِنُونَ، فَقَالَ: وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ"(١).

(وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ)

اختلف في عود الضميرُ في قوله:(**وَكَانُوٓاْ**) فقيل: يعود على المؤمنين، أي وكان المؤمنون أحق بهذه الكلمة من الكفار، وقيل: يعودُ على الكفار أي: كانت قُرَيْشٌ أَحَقَّ بها لولا حِرْمانُهم.

---

(١) البحر المحيط ٤٩٨/٩.

والراجح عود الضمير على المؤمنين؛ "لأن الله سبحانه أَهَّلَهم لدينه، واختارهم لصحبة رسوله ﷺ"(١).

فهم أهل الخير والصلاح والعقيدة الصحيحة، على نقيض الكفار ذوي العقيدة الفاسدة.

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب القنوجي ١١٥/١٣، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبتوفيقه تتحقق الغايات، وبعد هذه المعايشة القرآنية مع آيات السكينة كان لابد من ثمار تجنى، وهي:

١- أثبت البحث أن الوحدات الصوتية المستعملة في آيات السكينة ساعدت بما لها من إيحاءات على إبراز الأثر النفسي لهذه الآيات على نفس المتلقي، كما في لفظة (سكينة) فقد اشتملت على أصوات تتلائم مع معنى الهدوء والطمأنينة والراحة، ولفظة (عذَّب).

٢- كشف البحث أنَّ سكينة بني إسرائيل سكينة مادية تمثلت في رد التابوت إليهم والذي كان يحمل آثار أنبيائهم، أما سكينة الأمة المحمدية فقد أودعها الله – عز وجل – في قلوبهم. وشتّان بين أمَّة سكينتها فيما للأعداء عليه تسلّط، وأمَّة سكينتها فيما ليس لمخلوق عليه سلطان.

٣- أوضح البحث أثر الصيغ الصرفية في التركيب، وأنه قد تستعمل الصيغ النادرة بما يتناسب مع المعنى النفسي للمتلقين كما في لفظة (تابوت).

٤- استعمل الخطاب القرآني صيغة المصدر في لفظ (ٱلۡحَمِيَّةَ)؛ ليدل على رسوخ هذه الصفة في قلوب المشركين وثباتها لهم.

٥- في سياق الحديث عن سكينة بني إسرائيل استعمل الخطاب القرآني أسلوب الشرط مع حذف الجواب، وكان لهذا الحذف دلالة لغوية وهي إبراز مواقف اليهود والكشف عما في صدورهم من الكذب والخداع، أما في سياق السكينة التي نزلت في الغار فاستعمل الخطاب القرآني أيضا أسلوب الشرط وقد حذف الجواب لكن بغرض إدخال الطمأنينة في نفس النبي ﷺ وصاحبه أبي بكر – رضي الله عنه– كما يؤكد على التيقن من النصر.

٦- أكد البحث على أن استعمال أسلوب النهي في معنى الإيناس يعزز الأمان والاطمئنان في نفس المتلقي.

٧- استعمل الخطاب القرآني الفعل المضارع مع حكاية الحال الماضية؛ ليفيد التجدد والاستمرار واستحضار الصورة في نفوس المتلقين كما في قوله تعالى: (**تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ**)، **وقوله:(إِذْ يُبَايِعُونَكَ)**.

٨- أوضح البحث أن للسياق بنوعيه دور كبير في تحديد الدلالة اللغوية كما في تحديد دلالة (مِنْ) في قوله تعالى:(**مِّمَّا تَرَكَ**)، **والغار في قوله:(إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ)**.

٩- جاءت السكينة مع بني إسرائيل منكرة أما مع رسوله ﷺ والمؤمنين فقد جاءت مضافة إلى ضمير الله عز وجل.

١٠- استعمل الخطاب القرآني فعل الإنزال تارة متعديًا بـــ(على) وتارة متعديًا بـــ(في)، ليناسب سياق كل آية، ففي الموقف الشديد الذي يتسم بالخوف والقلق تعدى (بعلى) ليفيد إحاطة السكينة نفوس أصحابها، وشمولها إياهم كما حدث في غزوة حنين، والسكينة التي أنزلت في الغار، وكما في صلح الحديبية، بينما تعدى فعل الإنزال مع السكينة التي وردت في أول سورة الفتح بحرف الجر(في)؛ لأنهم كانوا في موقف اضطربت فيه نفوسهم؛ حيث لم يدركوا ثمار هذا الصلح، فأنزل الله سكينته في قلوبهم فازدادوا يقيناً على يقينهم، وثباتًا على ثباتهم.

١١- تنوع التراكيب في الخطاب القرآني بين الخبر والإنشاء يقوي النص، ويزيد من قوة تأثيره على نفسية القارئ.

وأخيرا توصي الدراسة الباحثين والباحثات بضرورة خوض غمار علم اللغة النفسي، وتطبيق ذلك على القرآن الكريم من أوله إلى آخره حتى نستطيع أن نكشف عن سر من أسرار إعجازه.

المراجـــع والمصـــادر

١- الإحكام في أصول الأحكام لأبي الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـــ)، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفي ٩٨٢هـــ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٣- أساس البلاغة للزمخشري (خ ط ب) تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان- الطبعة: الأولى(١٤١٩هـــ – ١٩٩٨م).

٤- أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدلالة د/ أحمد مختار عمر، الطبعة الأولى.

٥- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي(المتوفى: ١٣٥٦هـــ)، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت-الطبعة الثامنة عام(١٤٢٥هـــ – ٢٠٠٥م).

٦- إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـــ) الناشر: دار الإرشاد للشؤن الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، الطبعة: الرابعة (١٤١٥هـــ) .

٧- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـــ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى عام(١٤١٨ هـــ).

٨- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت – عام (١٤٢٠ هـ) .

٩- البرهان في علوم القرآن لبَدْر الدِّينِ مُحَمَّد بْن عَبْدِ اللَّهِ بْن بهادر الزركشي (المتوفي ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة: الأولى(١٣٧٦ هـ- ١٩٥٧م).

١٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفي :٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

١١- بيان إعجاز القرآن لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، د/ محمد زغلول سلام الناشر: دار المعارف بمصر.

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفي: ١٢٠٥ه)، تح: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

١٣- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة(١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م).

١٤- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى: ٦١٦هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه

١٥- التحرير والتنوير« تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي(المتوفى:١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس (١٩٨٤هـ).

١٦- التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفي: ٨١٦هـ) ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان– الطبعة: الأولى عام (١٤٠٣هـ –١٩٨٣م).

١٧- تفسير الشعراوي (الخواطر) لإمام / محمد متولي الشعراوي (المتوفي: ١٤١٨هـ) ، الناشر: مطابع أخبار اليوم .

١٨- تفسير المنار لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة النشر: (١٩٩٠م).

١٩- التفسير الوسيط للقرآن الكريم د/ محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة–الطبعة: الأولى (١٩٩٨م) .

٢٠- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي الناشر: دار طوق النجاة – بيروت لبنان ط١(١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م).

٢١- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى:٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة– الطبعة: الثانية، (١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م).

٢٢- الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي، الناشر: دار الرشيد، دمشق مؤسسة الإيمان، بيروت.
٢٣-الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ) تحقيق: د/ فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى (١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م).
٢٤-خصائص الحروف العربية لحسن عباس، الناشر: اتحاد كتاب العرب عام(١٩٩٨م).
٢٥- الخطاب القرآني في آيات حب الله للمحسنين دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة النفسي د/فاطمة رجب حسانين، جامعة الأزهر - مجلة الزهراء- العدد التاسع والعشرون عام(١٤٤١-٢٠١٩م).
٢٦-الخطاب القرآني وأنواعه دراسة بلاغية د/ خالد داد ملك، جامعة بنجاب، لاهور باكستان، العدد الثاني والعشرون عام(٢٠١٥م).
٢٧- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفي: ٧٥٦هـ)، تحقيق: د/أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم(دمشق).
٢٨-زهرة التفاسير لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفي: ١٣٩٤هـ)، الناشر: دار الفكر العربي.
٢٩-علم اللغة النفسي د/ عبد العزيز بن إبراهيم العصيلي، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض- عام(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).
٣٠-علم اللغة بين القديم والحديث د/عاطف مدكور، الناشر: دار الثقافة (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).
٣١-علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د/ محمود السعران، الناشر: دار الفكر العربي الطبعة: الثانية القاهرة(١٩٩٧م).

٣٢-عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة د/عبد العزيز أحمد علام الطبعة الرابعة عام(١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
٣٣-العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفي:١٧٠هـ) تح: د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
٣٤-فتح البيان في مقاصد القرآن لأبي الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت.
٣٥-فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى(١٤١٤هـ).
٣٦-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت- الطبعة: الثالثة(١٤٠٧هـ).
٣٧-لباب التأويل في معاني التنزيل لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفي: ٧٤١هـ) تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).
٣٨-اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ) تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان- الطبعة: الأولى (١٤١٩هـ -١٩٩٨م).

٣٩-لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفي: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت–الطبعة: الثالثة(١٤١٤هـ).
٤٠-اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر(المتوفى: ١٤٢٤هـ) الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى(١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
٤١-مباحث في علوم القرآن لمناع بن خليل القطان، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة(١٤٢١هـ- ٢٠٠م).
٤٢-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفي: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى (١٤٢٢ هـ).
٤٣-المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفي: ٤٥٨هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت- الطبعة: الأولى (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م).
٤٤-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (المتوفي: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.
٤٥-المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث د/ رمضان عبد التواب، الناشر: مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الثالثة عام(١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
٤٦-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفي: ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
٤٧-مطالع الأنوار على صحاح الآثار لإبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق بن قرقول (المتوفى: ٥٦٩هـ)، تحقيق: دار الفلاح

للبحث العلمي وتحقيق التراث الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – دولة قطر– الطبعة: الأولى(١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م).

٤٨–المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د/ محمد حسن حسن جبل، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة– الطبعة: الأولى عام(٢٠١٠م).

٤٩–معجم الفروق اللغوية لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفي :٣٩٥هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي.

٥٠–المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى –أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٥١–معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفي ٣٩٥هـ)، تحقيق :عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٥٢–مفاتيح الغيب = التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفي: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت– الطبعة: الثالثة (١٤٢٠هـ).

٥٣–نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفي: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٥٤–الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفي: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان – الطبعة: الأولى(١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م).

تم بحمد الله وتوفيقه